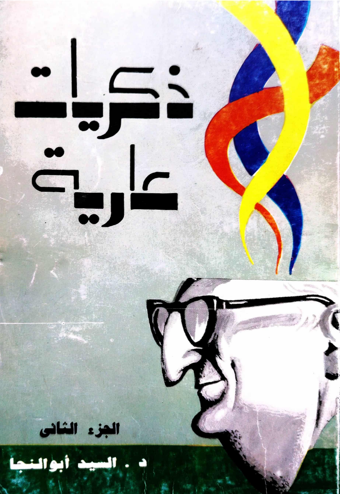


ذكريات
عارية
الجزء الثانى
د . السيد أبوالنجا



د . السـيد أبو النجـا

لماذا هذه الذكريات ؟

« زرعوا فأكلنا ، ونزرع ليأكلوا » وبالمثل أخذ الجيل الماضى بعض خبراته من الجيل الذى سبقه فورّثها لجيلنا ، وعلى هذا الجيل أن يضيف ما عنده منها إلى ما تلقاه ، ثم يسلم الحصيلة كلها إلى الجيل القادم . وهكذا تتراكم الخبرات الانسانية ، فتطل من بينها الاكتشافات جيلا بعد جيل .

وقد وجدتنى قد حققت فى دنياى ما قدر لى بفضل الله سبحانه وتعالى وبفضل توجيهات أبى وأساتذتى ورؤسائى ، فحق علىّ أن أرد الدين لأبنائى وتلاميذى ومن عملوا معى ، ولذلك كتبت الجزء الأول من ذكريات عارية فى سنة ١٩٧١ بعد أن جاوزت الستين من عمرى ، ولم أكن أدرى أن الله سيمد فى هذا العمر الى مشارف الثمانين . فلما بلغتها .. شكرت ربى ، ورأيت أن أكتب الجزء الثانى ليحتوى مزيدا من ذكرياتى .

والجزء الثانى كالجزء الأول ، مادته الصدق العارى عن كل زيف ، بل لعل تطلعى للثناء ـ وقد تداعى بحكم السن ـ قد هيأ لهذا الجزء كثيرا من التجرد والموضوعية .

يبقى الأسلوب ، وهو فى هذا الجزء أقرب إلى التصوير بالكاميرا منه إلى الرسم بالكاريكاتير ، فمعذرة لك أيها القارىء العزيز إن كنت من الشباب ، وشكرا لك ان كنت من القانعين .

السيد أبو النجا

الفصل الأول

من الطفولة إلى مشارف الثمانين



ما أقصر العمر لولا فسحة الأمل ! ان الأمل هو الذى شدّ صاحبنا إلى الحياة وهو رضيع بعد أن ماتت أمه ولما يكمل السنة الأولى من عمره ، فتولته إحدى المرضعات ، وأشرفت على تربيته امرأة عمه فى كفر عيسى مركز فاقوس ولأنها . . لم تنجب . . لذلك قاست من عمه كثيرا، فقد تزوج عليها بكرا من الريف ، وتزوج عليها ثيِّبًا من الحضر سبق أن أنجبت من زوجها الأول . ثم تزوج عليها بعد طلاق الزوجتين فتاة فى الثانية عشرة لما تبلغ الحلم ، كانت تجمع القطن فى أرضه مع أترابها وهو فى الخمسين ، فدفعها فى مصرف قريب ليبتل جلبابها فيلتصق بجسمها ويفصح عن قسماته ، وتصاعدت الزغاريد من حولها تيمنا بخطبة مرتقبة !

ولكن عمه لم ينجب منهن جميعا بالرغم من أنه تحامل على نفسه مرة وأكل بيضة كبيرة من بيض النعام ، وعمل كثيرا بنصائح المشتغلين بالشعوذة وبائعى الأوهام . . وكانت الزوجة الأولى رجلة عربية تطلق البندقية فتصيد الطير من فوق الشجر ، فلم تسمح لكبريائها أن تعترف بضرة ممن جئن بعدها تشاركها بيتها ، واستعانت على ما تعانيه من شقاء بمزيد من العطف على صاحبنا وهو طفل صغير ، فلما بلغ الرابعة من العمر ، بدأ يدرك أنها تذرف الدمع اذا خلت للنوم ، ثم تبتسم لأهل البيت إذا أشرقت الشمس بنور ربها والتف أهل البيت حولها ليتلقوا توجيهاتها فى حلب الجاموسة واطلاق الدجاج ، وإعداد الافطار ، ويتقدم والد صاحبنا فيقبل يدها ، وتنحنى ضرتها الأخيرة متضائلة أمام شخصيتها المستعلية .

ثم علمت يوما أن أخاها الذى يرعى الغنم فى قرية قريبة قد وقع صريع المرض ، فأسرعت لترعاه وأخذت صاحبنا معها ، ولكن أخاها فارق الحياة بعد أيام . وكان صاحبنا يأسى لامرأة عمه ، ولكنه لايجد فى البيت ما يأكله ، فلما كان يوم الجمعة تفتّق جوعه عن حيلة خطرت له هى أن يصلى مع الناس فى المسجد وينصرف معهم عسى أن يستضيفه أحدهم للغداء ، وصحت فراسته فاصطحبه أحد أقرباء المتوفى إلى بيته ، وكان يعرف الظروف التى يمر بها ، فملأ بطنه فتّا ولحما .

كانت هذه تجربته الأولى فى طفولته القاسية التى حفرت بصماتها فى حياته كلها ، فى عطفه على الفقير ، وتعاونه مع الزملاء . واحتياطه لما يستقبل من الزمان . وها هو ذا يقترب من الثمانين وما تزال هذه الواقعة تعمل فى نفسه منذ ثلاثة أرباع قرن .

ولما وصل صاحبنا إلى المرحلة الابتدائية كان كثيرا ما يلعب الكرة الشراب مع غيره فى حوارى كفر عيسى ، فلما انتصر يوما على ولد يكبره ، انتقم منه الولد بالاعتداء ، فذهب صاحبنا يشكو لوالده ، وكان مبدأ الوالد ان يضرب ابنه ظالما أو مظلوما . إذا كان ظالما فالأمر واضح ، وإذا كان مظلوما . . فلماذا لم يبعد عمن يتوهم فيهم الاعتداء .؟ وهو اتجاه سلبى كان من الممكن أن يؤثر فى تربية الطفل لولا أن امرأة عمه خالفت أباه « لا ياشيخ صادق » واتجهت الى الطفل تحذره . « إياك أن تكون الشاكى من أحد . خذ بثأرك منه ، فإن لم تقدر عليه فعضه بأسنانك أو اقذفه بالطوب . »

وهكذا تعلم صاحبنا من الواقعة الأولى أن يقول « نعم » فى موضعها ، وتعلم من الواقعة الثانية ان يقول « لا » فى حدود ضوابطها ، فلما ماتت خادمته العجوز وهو فى السبعين . . حرص

على تنفيذ وصيتها وهى أن يدفنها فى قريتها ويقيم لها مأتما مناسبا ، ثم تنكر كثيرون لمحمود أبو الفتح فى منفاه ، ولمصطفى أمين فى سجنه ، ولمحمد حسنين هيكل بعد خروجه من الأهرام . فقال للمتنكرين جميعا « لا » وسارت حياته كلها على نفس الدرب .. فقال « نعم » للادارة وقال « لا » للسياسة .. وشعر هكذا انه فى توافق مع نفسه ..

هذه هى إطلالة صاحبنا على طفولته . أما حين يطل على شبابه فإنه يجد أثر تدرج السن واضحا فى تصرفاته وميوله . لقد كان يحب الوردة فى طفولته لانها حمراء ، فأصبح فى شبابه يحبها لأن رائحتها زكية ، ولما درس الطبيعة فى القسم العلمى بالمدرسة الخديوية .. أصبح ما يهمه فيها أن تكون من الازهار أو من الأبصال .

وكان فى طفولته لايجد فى أنوثة الفتاة ما يشده ، فأصبح فى سن المراهقة يهفو إليها ، ويتحرز فى التعامل معها .. إذ دعت الجامعة الأمريكية فى العشرينات الى ست محاضرات بالفانوس السحرى يلقيها إخصائى فى الأمراض التناسلية ، فسارع فى تسجيل اسمه ـ وكان الاشتراك فيها قرشين ـ واقتنع مما شاهده وسمعه بخطر الجنس ـ وكان مباحا فى كلوت بك ـ

ثم استعلى عليه بالصلاة والرياضية وكتابة القصص لمجلتى الرسالة والاسبوع حتى تزوج وهو فى الرابعة والعشرين ، وسافر مع زوجته وطفله بعد سنوات فى بعثة علمية عملية الى لندن فأصبح شخصية أخرى .. كان يعيش فى تحفظ ابن الخمسين وهو ما يزال فى الثلاثين ، فرجع فى حياته إلى بواكير التخرج ، كان يترك بيته فى الصباح كل يوم الى استديو للتصميم والاخراج والى شركة للاعلان ، ويكتفى فى غدائه بقطعة من الجبن أو السردين على شريحة من التوست ، ثم يذهب بعد الظهر إلى كليته فيعود إلى

البيت متأخرا فى المساء وسط الثلج والضباب والمطر ليجد العشاء الساخن فى انتظاره .

لقد كان الانجليز حينذاك يعتبرون بريطانيا العظمى قارة أكبر قدرا من اوربا ، حتى لقد وصفت جريدة التيمس عاصفة كبيرة هبت على بحر المانش فقالت « انها فصلت أوربا عن بريطانيا » وكان الانجليز عازفين عن الملونين حتى لقد كان له زميل أسود فى برمنجهام أراد أن يعيش مع إحدى الأسر ليتعلم الانجليزية ولكنه أضطر الى أن يسكن فى بنسيون . وذات يوم كان يسير فى الشارع فرأى فتاتين تنظران إليه من النافذة فى ابتسام . فرد على التحية بمثلها ، ودعته الفتاتان للشاى فاستجاب واحتفيتا به ، ثم قالت إحداهما فى نهاية الاجتماع : « هذا اليوم هو أول أيامهما فى هذه الڤيلا الجديدة وهما يتفاءلان إذا استهلا اقامتهما فيها باستضافة رجل أسود أو قطة سوداء ولذلك فقد سعدا بمجيئه فى الوقت المناسب » وأسرع الزميل منصرفا الى الخارج ليجهش بالبكاء !

وكان الانجليز لا يخرجون بالبيجاما من غرف النوم ، فإذا خرجوا الى الحمام لبسوا فوقها الروب ، وإذا تجولوا بعد ذلك فى المنزل لم يكتفوا بالقميص والبنطلون بل لبسوا جاكته أو بلوڤر .

كانوا متحفظين خصوصا مع الأجانب ، ولكنهم مهذبون فى التعامل معهم .. فقد ذهب صاحبنا يوما إلى محطة المترو ، فلما أراد أن يشترى تذكرة اكتشف انه نسى المحفظة فارتبك ، ولا حظ الواقف على البوابة ذلك فاعطاه تذكرة من عنده وأعطاه ثمنها ، فلما استفهم صاحبنا عن ضرورة الثمن قال له الرجل « كيف تعود ؟ » ورد له صاحبنا فى اليوم التالى ما أخذ مع هدية صغيرة .

وكان رجال الشرطة يحسنون معاملة الأجانب ، فلما بصق زميل وافد فى الشارع ـ وغرامة ذلك خمسة جنيهات ـ استوقفه الشرطى

وقدم له منديلا من الورق فشكره الزميل وأخرج منديله من جيبه ، فقال له الشرطى : « مادام معك منديل فلماذا لا تستعمله ؟ » واكتفى بذلك .

لقد عاد صاحبنا من انجلترا وفى ذهنه قول رفاعة الطهطاوى « ان هؤلاء الاوروبين يهتدون بالاسلام دون أن يكونوا مسلمين » ثم عين مديرا عاما لجريدة المصرى ، فوجد المسلمين من غير اسلام !!

كان محمود أبو الفتح رئيسا لشركة مساهمة هى الانشاءات والقوى الكهربائية . وكان المساهمون فريقين متنازعين : فريقا يؤيد رئيس المجلس وفيه الدكتور محمود الشيشينى استاذ الكهرباء بكلية الهندسة سابقا ، وفيلكس رومانو مدير البنك البلجيكى ، وفريقا يؤيد العضو المنتدب ، ومنه سمير ذو الفقار ، وكان على اتصال بالسراى ، وسيدة معروفة بالجرأة وسلاطة اللسان . وكان الاستاذ عيسى العيوطى رئيس مجلس ادارة بنك النيل الآن هو المراجع القانونى للشركة .

ولما اشتد الخلاف بين الفريقين . . اتهم محمود أبو الفتح عيسى العيوطى بمحاباة الفريق الآخر ، فجاء عيسى الى صاحبنا كزميل تجارى يشرح له الأمر ويطلب مقابلة صاحب المصرى ، فرتب صاحبنا اجتماعا للعيوطى كان له فيه ـ وهو بعد محاسب ناشىء ـ موقف يدعو إلى التقدير .

ثم تقررت تصفية الشركة وانتخب صاحبنا مصفيا لها ، واستقال العيوطى ليحل محله محمد الحاورنى ـ عميد كلية التجارة فيما بعد ـ وعقدت الجمعية العامة أولى جلساتها بعد قرار التصفية فى دار المصرى بشارع قصر العينى برياسة المصفى . وكانت السيدة من بين المساهمين الحاضرين . فلما احتدمت المناقشة قامت من مكانها فجأة إلى جوار الدكتور الشيشينى تصرخ معلنة

أنه اعتدى على مكان حساس فى جسمها مع إنها كانت فوق الأربعين وكان هو فوق السبعين ، ولم تكن الظروف كلها تسمح بمثل هذا الاعتداء . . وتشابك الفريقان بالمناكب وعلا الضجيج فى القاعة . . فاستدعى صاحبنا على الفور عبد الحميد المشهدى ـ وكان مديرا للتوزيع ـ فدخل ومعه عدد من السعاة بمقشاتهم وعصيهم ، وتحت التهديد هدأت العاصفة وانفض الاجتماع واقتيد المساهمون جميعا إلى نيابة الجيزة .

وهناك بدأ وكيل النيابة فى التحقيق فأدرك أن الجريمة ملفقة ونصح السيدة بالتنازل والاعتذار . ولكن الدكتور الشيشينى رفضهما وأصر على مواصلة التحقيق لولا أن صاحبنا أقنعه بالتوقف عند هذا الحد ، ثم جاء محضر الجمعية العامة خاليا من كل إشارة للتحقيق أو للمكان الحساس !

وسافر محمود أبو الفتح بعد ذلك إلى الخارج قبل انعقاد مجلس الثورة ، فبحث له صاحبنا عن محام يترافع عنه فلم يجد . اعتذر سابا حبشى بأنه من أقلية قبطية فلا يليق به ان يتدخل فى خلاف بين الثورة وصحفى مسلم !! وكان فراج طايع يعمل فى جريدة المصرى بمرتب كبير ، فلما طلب إليه صاحبنا أن يشهد بما يعرفه عن محمود أبو الفتح قال « وما فائدة الشهادة ؟ هل تظن أنهم يحاكمونه ليعطوه نيشانا ؟ » وذهب صاحبنا إلى زهير جرانه فاعتذر بأنه محامى عبود ودفاعه عن صاحب المصرى سيعكس آثاره على موكله .

وهكذا تعذر على صاحبنا أن يجد من يدافع عن محمود أبو الفتح أمام محكمة الثورة ، ففكر فى محام كبير خال من العقد هو الدكتور وحيد رأفت . ذهب إلى بيته فى المعادى فقص عليه قصته وسأله عما إذا كان يقبل المهمة ؟ فأجاب دون تردد مادام الأمر كما تقول فإن موقفك الصعب يتحدى شجاعتى ، وأنا لا تنقصنى الشجاعة فى

الدفاع عن متهم أعتقد أنه برىء . سأله صاحبنا عن الاتعاب لأنه كان يتوقع أن تجمد أموال صاحب المصرى بعد يوم أو يومين فقال : مادامت مضطرا فإن عنصر الرضا ينقصك ، ولذلك فإنى أعدك بقبول ما تقدمه دون بحث . وترافع وحيد رأفت خير دفاع ولكن الحكم كان جاهزا قبل الدفاع .

أين هذا النشاط من خمود الشيخوخة اليوم ؟ ان صاحبنا ما يزال يعمل ، ولكنه يقدم فكره وخبرته ولا يجد فى جهده ما يقدمه . وتخلت عنه دوافع الشباب وقدراته ، فأصبح يفضل التمشى حول نادى الجزيرة على ركوب الطائرة ، والاستراحة فى سريره على مشاهدة الملاهى . وقراءة الصحيفة أو الاستماع للراديو على مشاهدة التليفزيون .

كان صديقا للقانونيين ورجال الأعمال ، فأصبح صديقا للأطباء ، وكان تلاميذه يزورونه بأشخاصهم .. فأصبحوا يكتفون بالزيارات التليفونية !! ، ولكنه لا يضيق بما صار إليه ، فهو يسعد بزوجته وأولاده وأقربائه ، وقد أصبح يجد فى التأمل بديلا عن الفعل . أصبح يشعر أن مستقبله خلفه ، فعكف على كتابة الذكريات عن أمسه . بعد أن كان يتطلع إلى غده .



الفصـــل الثـــانـى

أمام محكمـة الثـــورة



كان اتفاق صاحبنا مع الدكتور وحيد رأفت قبل اسبوع واحد من الموعد المحدد لانعقاد محكمة الثورة ، وكانت تهم ثلاثة قد وجهت لمحمود أبو الفتح ، وتهمه واحدة لحسين أبو الفتح .

أما التهم الثلاثة فكانت :

١ ـ انه تجسس لحساب اسرائيل .

٢ ـ انه اشترى توكيلا للأدوية فى القاهرة كان يملكه سويسرى يدعى فيّون .

٣ ـ إنه كسب بنفوذه قضية أمام لجنة الطعون بمصلحة الضرائب .

أما تهمة حسين أبو الفتح فكانت أنه أعطى رشوة لأحد لواءات الجيش ليرسى عليه صفقة أسلحة .

وخشى الدكتور وحيد رأفت من أن ضيق الوقت قد لا يمكنه من دراسة كل هذه التهم ، ولكن صاحبنا طمأنه بأنه جمع الوقائع والملابسات والأرقام المتعلقة بكل تهمة ، ثم وضعها بين يديه . . فواصل العمل بالليل وبالنهار لإعداد مرافعته القانونية .

وحضر عثمان شحرور مراسل المصرى فى دمشق إلى القاهرة . . وكان محمود أبو الفتح قد استدعاه إلى جنيف وأعطاه

حقيبة مملوءة بالمستندات التى تردّ كل قاض من قضاة المحكمة الثلاثة وأعطاه تذكرة فى الطائرة إلى استامبول على أن يشترى من هناك تذكرة أخرى إلى القاهرة ، وكان قد علم أن مخابرات المطار تفتش حقائب الذين يجيئون من جنيف لتعثر على ما قد يكون فيها من مستندات تخص القضية ، ولكن الدكتور وحيد رأفت أفهم صاحبنا فيما بعد أن قانون محاكم الثورة لا يسمح بردها أو استئناف حكمها .

وقبل المحاكمة رفع على أمين يحيى باشا دعوى مستعجلة على محمود أبو الفتح يطالبه فيها بمبلغ كبير قال انه مدين به له بسبب عمله فى بورصة القطن . فجاء إلى دار المصرى بشارع قصر العينى خبير من المحكمة التجارية ومحاسب من مديرى على يحيى معه دفاتر تثبت الدين . وانتهز صاحبنا الفرصة فأوصى الدكتور فايق الجوهرى المحامى والاستاذ المحاسب صليب بطرس ـ وكانا حاضرين فى التحقيق ـ بأن يصوروا الصفحات التى وردت فيها عمليات البورصة التى أجريت مع عدد كبير من السياسيين المصريين . ولم يسفر التحقيق عن شىء .

وبعد يوم أو يومين جاء على يحيى إلى صاحبنا فى مكتبه بشركة الاعلانات الشرقية دون موعد سابق وعرض أن يتنازل عن شهادته أمام المحكمة ـ وكان الشاهد الوحيد فى التهمة الأولى ـ مقابل ان يدفع صاحبنا له المبلغ ، ثم أضاف : أن رئيس مجلس الادارة فى بنك مصر قريبه ، وهو مستعد أن يقرضنا المبلغ أذا كانت السيولة تنقصنا . فقال له صاحبنا انه مصرٌ على أن تبقى ساعة المصرى دقاقة حتى توقفها محكمة الثورة إذا أرادت ، وأنه لا يستطيع دفع مبلغ كبير كهذا دون مستند ، ثم هدد بأن لديه صورا ضوئية من الصفحات التى وردت فيها عمليات البورصة ، وسيقدمها للمحكمة

ليحال هو الآخر للمحاكمة ، فما أن سمع على يحيى منه ذلك حتى بكى وتساقطت دموعه على صدر صاحبنا ، ثم وعد بالتنازل عن الشهادة والمطالبة .

انعقدت المحكمة برياسة عبد اللطيف البغدادى ، وكان أنور السادات هو عضو اليمين ، وحسن ابراهيم هو عضو اليسار ، ووقف وحيد رأفت يفند التهم الثلاث الموجهة لمحمود أبو الفتح فقال عن التهمة الأولى : إن فيها شاهدا واحدا كل ما قاله أمام النيابة إنه كان يوما جالسا فى المقهى الملحق بفندق « دى برج » فى جنيف فوجد محمود أبو الفتح ورجلا يهوديا يجلسان إلى مائدة قريبة وسمع محمود يقول لهذا اليهودى « سيب دى على » ثم لا شىء غير ذلك . وقال الدكتور وحيد إن هذه العبارة التى قالها أبو الفتح على حد قول الشاهد قد تنصرف إلى وليمة أو إلى عملية تجارية أو إلى موعد مع طبيب فما الذى جعلها تنصرف بالتحديد إلى عمل مع اسرائيل ؟

وناقشت المحكمة على يحيى فتلعثم وفأفأ وتأتأ ثم قال إن النيابة أساءت فهم كلامه ، فنهره عبد اللطيف بغدادى وطرده من قاعة المحكمة . وبعد قليل جاء الى صاحبنا أثناء الجلسة رسول من قبله يطمئن إلى أنه راض عما حدث وانه لن يزج باسمه فى المحاكمة .

ثم دعى فكرى أباظة وحبيب جاماتى كشاهدى نفى ، فكان مما قالاه ان محمود أبو الفتح سفارة عربية متنقلة وانه ينفق كثيرا من أمواله على الحركات العربية وعلى زعمائها المنفيين . . فسخرت المحكمة من أقوالهما .

وأستأنف الدكتور وحيد دفاعه فقال :

أما شراء محمود أبو الفتح لتوكيل فيون فهو عمل يستحق الشكر ولا يستحق المحاكمة لأنه تمصير لاحدى الشركات الأجنبية ، وإذا

كان محمود قد أعطى السيد أبو النجا مائتين وخمسين سهما مجانا ليكون عضوا منتدبا لها . . فهذه مكافأة وليست رشوة لان الرشوة من شروطها أن تعطى لموظف لاغرائه بالاخلال بواجبه فى حدود وظيفته وهو ما لاينطبق على هذه الحالة .

أما قضية الضرائب فإن السيد أبو النجا كمحاسب ترافع فيها بصفته مديرا لجريدة المصرى أمام لجنة الطعن وكانت مؤلفة من ثلاثة عن مصلحة الضرائب واثنين عن الجريدة وأصدرت قرارها باجماع الاراء ببراءة المصرى مما طولب به فأين استخدام النفوذ ؟

ورفعت الجلسة للتداول عند منتصف الليل ، فتغيبت المحكمة نحو عشر دقائق وعادت فأعلنت حكمها على محمود أبو الفتح بالسجن مع الشغل خمس عشرة سنة ثم نادت على قضية حسين أبو الفتح وكان واقفا فى قفص الاتهام .

قال وحيد رأفت انه قضى اليومين الآخيرين دون أن يأخذ قسطه من الراحة أو النوم والتمس من المحكمة أن تؤجل نظر القضية الثانية إلى الصباح . فمال رئيس المحكمة على عضو اليمين ثم مال على عضو اليسار وقرر استمرار المحاكمة .

قال الدكتور وحيد رأفت معلقا على هذا القرارا : « إذا وقعت صريعا فى هذه القاعة فوصيتكم أسرتى » وبدأ مرافعته عن حسين أبو الفتح بقوله : أن الهدية على فرض صحتها كانت بناء على طلب السيد اللواء من موكله بمناسبة سفره إلى باريس وهى ربطتا عنق ، فهل يرتفع ثمنها ليصبح فى مستوى الرشوة ؟ وهل يتناسب هذا الثمن مع صفقة الاسلحة ؟ وإذا كان فى الأمر رشوة فلماذا قبلها السيد اللواء » ؟ وكيف لم يبلغ السلطة عنها إلا حين أحيل حسين إلى المحاكمة ؟ لقد كنت أتوقع ان أراه الليلة مع المتهم فى القفص .

ورفعت الجلسة للتداول حول الساعة الثالثة صباحا فتغيبت المحكمة نحو عشر دقائق ثم عادت فأعلنت حكمها بسجن حسين أبو الفتح عشر سنوات مع إيقاف التنفيذ .

وخرج صاحبنا من قاعة المحكمة إلى بيته قبل الشروق وقد أنهكه التعب واستبدت بتفكيره الاحكام فألقى بنفسه وهو بملابسه على أقرب مقعد صادفه فى الصالة ولم يفق إلا على صوت زوجته وهى تصرخ خوفا عليه من مكروه .

وفى الصباح علم أن صلاح سالم قد توجه لدار الجريدة فأعلن إغلاقها دون أن يتضمن الحكم ذلك ، وجرى بالكرباج خلف المحررين فأسرعوا بتركها الى ميدان التحرير .

ولم يسعف الوقت الدكتور محمد البهى وكان محررا بالجريدة فوضع رجله اليمنى فى فردة من حذائه ولم يجد الفردة اليسرى فجعل يقفز بساق واحدة حتى خرج من الدار ، ثم تقدم فيما بعد لمحيى الدين الشاذلى الذى عين حارسا على المطابع بطلب صرف للفردة التى تركها !! أما صاحبنا فكان مرتبه عن شهر مارس نقدا فى درج مكتبه ولكنه أدخل فى الجرد فتعذر استرداده .



الفصل الثالث
ذكريات أخبار اليوم

لا يعرف صاحبنا لماذا يشعر دائما أنه من أخبار اليوم وهى منه ، وكأنه ما يزال يعمل فيها حتى الآن . ولعل هذا الشعور يرجع إلى أن مصطفى أمين وعلى أمين كانا يشعرانه بصداقتهما سواء عمل لحسابهما قبل التأميم أو لحساب الدولة بعد ذلك .

ولعله يرجع إلى أن مدرسة المصرى انتقلت إلى أخبار اليوم وبقيت بمن فيها بعد انتقال صاحبنا إلى دار المعارف والأهرام ، وظل نظار المدرسة وهم حسين الغمرى وأمين عدلى وطلعت الزهيرى أوفياء لصاحبنا فأشعروه بأنهم لا يزالون معه .

ولعل أصدقاءه القدامى من المحررين مثل محمد زكى عبد القادر وموسى صبرى وسعيد سنبل وأحمد رجب وأحمد زين ومصطفى حسين ومحمود عبد المنعم مراد وابراهيم سعده هم الذين خلقوا عنده هذا الشعور الباقى بالصداقة بعد الادارة .

وقد بدأت علاقة صاحبنا بأخبار اليوم فى أواخر الاربعينات وهو بعد مدير لجريدة المصرى ، حين اشتركت الداران فى تأسيس شركة التوزيع المصرية ، وهى شركة مساهمة لتوزيع الصحف .

كان صاحبنا مديرها العام ، وكان فى السوق شركة توزيع أخرى للاهرام حرضت المعلمين على أن يوزعوا المصرى وأخبار اليوم وآخر ساعة دون أن يدفعوا بعد التوزيع ثمنها للشركة ، وبذلك أوشكت على الافلاس .

ويذكر صاحبنا أنه زار المعلم محمد السروجى فى مكتبه بشارع عبد العزيز ـ وهو الشقيق الأكبر لعبده السروجى المطرب ـ ورجاه أن يدفع ما عليه للشركة وكان يتولى التوزيع فى منطقة العتبة . . فسأل صاحبنا فى استنكار « هل صحيح انك استاذ فى الجامعة ؟ وعندما قال له نعم قال « اخص ! وما علاقة الجامعة بالتوزيع ؟ انصرف يا ابنى لدروسك أحسن . » .

وفكر صاحبنا فى حل يخرجه من هذه الورطة فلم يجد بدا من أن يزور محمد كروم كبير المعلمين فى منزله ببولاق وكان رجلا شديد البأس فوعده بالمساعدة ولم ينس أن يسأله « أنت بتشرب كوكاكولا كتير ؟ » ورأى صاحبنا أن يسايره فقال « نعم ولكن كيف عرفت ذلك دون أن يخبرك أحد » ؟ فقال « لانك بكرش . اشرب شوربة عدس أحسن » وهنأه صاحبنا على صدق فراسته وانصرف .

وفى اليوم التالى جمع كروم متعهدى القاهرة وفى مقدمتهم أخوه الأصغر فصفعه على وجهه أمامهم لأنه مقصر فى دفع ماعليه لشركة التوزيع المصرية ونبه عليهم أن يسددوا لها فورا قيمة ماوزعوه من صحف ، فانصاعوا لتعليماته . وجاء على أمين يهنىء صاحبنا بمقدرته الادارية الفائقة !

واستمر الود بين كروم والشركة إلى أن وقع مدير التوزيع وهو عبد الحميد المشهدى فى خطأ كبير فى حق كروم . كان ذلك فى عرس كبير أقامه أحد المعلمين لابنته وحضره كروم . وكان من برنامج العِرس أن يستعرض الفتوات قواهم أمام المشاهدين ،

فدعى المشهدى لمنازلة كروم . وكان المشهدى لايزال شابا قوى العضلات فأوقع شيخ المعلمين على الأرض ، وهنا وقعت الواقعة . !

ذهب عدد من بائعى الصحف المتشيعين له إلى مخزن الشركة ليهاجموا المشهدى وفى أيديهم بقايا زجاج مكسور ، فأقفل المشهدى الباب على نفسه وكان فى المخزن تليفون فاتصل بصاحبنا ورجاه ان يخطر البوليس . واتصل صاحبنا بعلى أمين الذى أخطر حكمدار العاصمة ، ولولا ذلك لمات المشهدى قتيلا .

هكذا كانت شركة التوزيع المصرية مفتاح الصلة بين المصرى وأخبار اليوم ، وهكذا توطدت صداقة صاحبنا بمصطفى أمين وعلى أمين ، وعن طريقهما تكونت بين الدارين شركة للنشر باسم شركة الأخبار المصرية انحلت بعد اشهر قليلة . وبسببها تولى صاحبنا إدارة أخبار اليوم بعد إقفال المصرى فى سنة ١٩٥٤ .

ثم حصلت أخبار اليوم على امتياز نشر (المختار) فى العالم العربى ، وكان صاحبنا مديرا للمجلة . . فقاد حملة إعلانية لزيادة الاشتراكات ، وضع خطابا إلى القارىء فى داخل كل عدد يدعوه فيه إلى أن يذكر أسماء وعناوين عشرة من معارفه يهمهم أن يقرأوا المختار ، ومع الخطاب ظرف خالص من أجرة البريد ومعنون باسم أخبار اليوم . . فإذا فعل ذلك فإن الدار ترسل له مجانا كتابا بعنوان « أفكار ضاحكة » . كتبه أنيس منصور .

وقد تجمع لدى صاحبنا نحو عشرة آلاف رد تمثل مائة ألف اسم . . فكتب لكل منهم يقول انه مدين باسمه وعنوانه لصديق ، وأن المرسل إليه إذا اشترك فى المختار خلال شهر فإنه يستحق خصما قدره ٢٠ ٪ ونجحت الحملة نجاحا كبيرا .

ثم جاءت الهزيمة الحربية فتجمع المتظاهرون حول مبنى أخبار

اليوم وهتفوا بسقوط المختار . . لانهم اعتبروا الولايات المتحدة مسئولة عن الهزيمة ، فنزلت الدار عند رأيهم وأخطرت بذلك الريدرز ديجست صاحبة المجلة .

وجاء مدير توزيعها الى مصر يستقصى الخبر ، فدعاه على أمين إلى غداء فى منزله بالزمالك وترك له أن يختار الطعام الذى يفضله فطلب « شيش كباب » وأحضر على أمين كمية لا بأس بها من « أبو شقرة » فأقبل الأمريكى عليها بنهم ثم عاد الى الفندق ففاجأه إسهال شديد متواصل كاد أن يقضى عليه لولا أن جاءه صاحبنا على عجل بطبيب غسل معدته فأنقذه ، وقد كان ممكنا لو مات أن تشك الريدرز ديجست فى أنه مات مسموما وتطالبنا بتعويض كبير . وفى الصباح جاء الرجل الى أخبار اليوم سليما معافى وطلب كوبا من الليمون فسأله على أمين « كيف وجدت الشيش كباب ؟» قال « مدهش » ولم يفتح صاحبنا فمه بكلمة .

وسار كل شىء بعد ذلك على ما يرام إلى أن تواترت الاشاعات بأن جمال عبد الناصر ينوى تأميم الصحافة . وكان إحسان عبد القدوس قد دعا إلى ذلك فى روزاليوسف . فاعتقد صاحبنا أن التأميم سيكون مقصورا على الناحية الصحفية ولن يتعداها إلى النواحى الطباعية والتوزيعية والاعلانية ، ولذلك اقترح على أصحاب الدار تقسيمها إلى أربع شركات منفصلة ، وتم ذلك فعلا ودفعت الدار فى التسجيل مبالغ كبيرة .

وفى ليلة كان صاحبنا مدعوا إلى العشاء فى منزل الدكتور السعيد مصطفى السعيد وكان ضمن المدعوين الاستاذ محمود فهمى صهر الرئيس عبد الناصر ، وقد اتضح لصاحبنا ـ فيما بعد ـ أنه كان وقتئذ يعد قوانين التأميم أو التنظيم كما سماها . وتقدم محمود فهمى إلى صاحبنا مسلّما فأشاد بمقدرته الادارية ثم سأله عن التنظيمات

القانونية الأخرى التى أدخلها ، فرد صاحبنا فى براءة ، ولكن القوانين صدرت بعد ذلك وقد لاحظت فى صياغتها تنظيمات أخبار اليوم !

وظل صاحبنا عضوا منتدبا للمؤسسة حتى نقل منها إلى دار المعارف ولكنه عاد إلى أخبار اليوم مشرفا عاما مع محمد حسنين هيكل ، ومشرفا عاما مرة أخرى عندما مرض على أمين وكان رئيسا لمجلس الادارة.

وفى المرة الأولى كان جمال عبد الناصر قد قرر استبعاد الشيوعيين من المحررين فنقلهم إلى باتا والى شركة بسكو مصر وشركة الحديد والصلب وغيرها ، وانتدب هيكل لتنفيذ هذه المهمة ، ولكنه سافر وترك تنفيذها لصاحبنا فأرسل اليهم خطابات دورية بما تقرر لكل منهم .

وكان اشراف هيكل على الأهرام وأخبار اليوم - فى نفس الوقت - موضع استياء محررى أخبار اليوم خصوصا موسى صبرى وجلال الدين الحمامصى ، وموضع خلاف دائم بين قاسم فرحات مدير أخبار اليوم وعبد الله عبد البارى مدير اعلانات الأهرام ، وكان توزيع الأخبار أكبر من توزيع الأهرام ، وكانت الأخبار تستشهد على هذا برأى (أراك) أمام المعلنين . فاحتج عبد البارى . وكان (أراك) شركة بين الأهرام وأخبار اليوم فبدت الحيرة على هيكل ولم يجد صاحبنا بدا من أن يحذف الاعلان من نشاط (أراك) .

أما المرة الثانية فقد كانت حين سافر على أمين إلى لندن ليعرض نفسه على الاطباء ومعه الدكتور دمرداش أحمد ، فاتفق هذا مع الاخصائى الذى فحصه على أن يعطى على أمين تقريرا يعالج الأعراض الشديدة للسكر وكان مريضا به ، ويعطى تقريرا آخر بالحقيقة له ، وعاد على أمين ليزاول عمله فى أخبار اليوم فقد كان

استمراره فى العمل الصحفى يرفع معنوياته وإن بقى حادا فى تعامله مع الناس ، فلما اشتد عليه المرض نقل الى مستشفى العجوزة فلم يتوقف عن العمل بل طلب إلى صاحبنا ان يشترى للدار مطبعة أوفست لاصدار مجلة جديدة باسم « آخر لحظة » وبدأ ينفق وقته فى التخطيط لها .

وكان صاحبنا يتردد عليه فى كل يوم وفى إحدى هذه الزيارات وجده مهموما . سأله عن حاله فقال « أنا بخير ولكن مصطفى أخذ الأوراق التى أرسم فيها الماكيت » وسأل صاحبنا مصطفى فقال « نعم خفت عليه من الاجهاد » ولكننى رجوته ألا يخرمه من تسليته الوحيدة فرد له الأوراق .

واستبد المرض بعلى أمين حتى دخل فى شبه غيبوبة ولكنه لم يتوقف عن التفكير فى الصحافة . وقد سمع وهو فى هذه الحالة أن صاحبنا نقل إلى الأهرام فأرسل يطلبه ، وفتح عينيه وأخرج صوته سائلا « هل صحيح أنك تركت أخبار اليوم ؟ فلما ظهر التردد فى الاجابة على صاحبنا فهم على أمين أن الخبر صحيح . . وأغمض عينيه وأسلم نفسه للنهاية .

وتولى موسى صبرى شئون الدار . . فجاءه مندوبو آلات الطباعة يدعون أن على أمين كان قد اتفق معهم على صفقات ذكروها ، ولكن موسى طلب إلى صاحبنا أن يحضر اجتماعه معهم فكان حضوره كافيا لايضاح كل شىء . وجاءت الآلات المتعاقد عليها لتطبع آخر لحظة فلم تجد محررها !!.

ثم طلب موسى من صاحبنا أن يكون مستشارا للدار فلم يتردد فى القبول . وكان أمين عدلى قد أصبح عضوا منتدبا ـ فوجد صاحبنا نفسه بين صديقين وزميلين سابقين .

وكانت الدار مشغولة بإقامة مبناها الجديد بشارع الصحافة

وفتحت العطاءات فكان من بينها عطاءان لمقاولين كبيرين هما عدلى أيوب وحسن أبو الفتوح ، وكان عطاء عدلى يزيد على عطاء زميله بنحو ١٠ ٪ ولكن شروطه أحسن بكثير ، فاقترح صاحبنا ارساء العملية عليه ، وخاف موسى من أن يكون فى ذلك مخالفة قانونية أو أدبية ، ولكن صاحبنا بقى على رأيه وانضم إليه العضو المنتدب فلم يجد موسى بدا من الموافقة .

وفكرت الدار فى شراء كمبيوتر وادخال نظام الميكروفيلم والميكروفيش ، ولكن الاجتماعات كانت تعقد واحدا بعد آخر دون أن تسفر عن شىء حتى عين طلعت الزهيرى رئيسا لمجلس الادارة فحسم الأمر .

ان صاحبنا تابع هذه الخطوات من النجاح ففرح للذين حققوها ، وللمؤسسة التى استفادت منها ، وللادارة التى برهنت على وجودها وجدواها ، فقد أصبح ضروريا ان يكون رئيس مجلس الادارة من بين الاداريين واسم المنصب يوحى بذلك خصوصا بعد الغاء منصب العضو المنتدب على أن يبقى رئيس التحرير من بين المحررين بطبيعة الحال .

الفصل الرابع

قصة تأميم أخرى



انعقدت الجمعية العامة لدار أخبار اليوم (شركة ذات مسئولية محدودة) وحضرها جميع أصحاب الحصص وهم مصطفى أمين وعلى أمين ، كما حضرها المدير العام ومراجع الحسابات ، وقررت الموافقة على أن يؤسس السيد أبو النجا شركة توصية بسيطة باسم « التوكيلات العامة للتجارة والصناعة » تتعامل فى الورق والات الطباعة وموادها . . على أن يكون تعاملها مع أخبار اليوم عن طريق على أمين .

ذلك أن الثورة بعد أن اصدرت جريدة الجمهورية ومجلة التحرير كانت تنوى الضغط على الجرائد والمجلات المنافسة بعدم اعطائها حصة كافية من ورق الصحف فتحدد توزيعها ، وكان من بين موردى الورق شوارتس وهرارى وقد اختلفا على فائدة البقاء فى مصر ، فشوارتس ليس له أولاد ولا بنات فلا مانع عنده من البقاء ، وهرارى له زوجته وابنة فى سن الزواج ولم يعد فى مصر شبان يهود تتزوج من أحدهم ، ولذلك فزوجته تحضه على الهجرة .

واختلف الشريكان عند التخالص على قيمة الشركة . فالذى ينوى الاقامة يرى انها معرضة للتأميم فهى لا تساوى إلا قليلا ، والذى ينوى الهجرة يرى أن أرباحها المرتفعة تبرر ارتفاع ثمنها ،

وأخيرا اتفق الشريكان على ان يحتكما لصاحبنا وكان من أصدقائهما .

عرضا عليه الأمر فلم يقبل ان يكون حكما بينهما وإنما قبل أن يكون وسيطا فقبلا ، ولكنه كان كلما عرض حلا قبله واحد ورفضه الآخر ، ثم انتهى صاحبنا الى تقدير أخير رآه مناسبا ، ففاجأه هرارى بقوله « إذا قبلت أنت شراء الشركة بهذه القيمة فأنا موافق على بيع حصتى لك » . وقال شوارتس مثل ذلك . ثم تركا صاحبنا يفكر . . ورأى صاحبنا عرض الأمر على الجمعية العامة للدار قبل ان يستجيب ، ثم اشترى الوكالة العامة بشرط ان يبقى شوارتس مديرا لها لمدة سنتين على الأقل ليستفيد بخبراته من يأتى بعده .

ولما علم ساسون وكيل بوليجراف لآلات الطباعة من ألمانيا الشرقية بما تم . . عرض توكيله على صاحبنا بنفس شروط شوارتس فقبل .

وسارت الشركة من نجاح الى نجاح بسبب أنها تبيع بالعملة المصرية وكانت العملات الصعبة غير متاحة فى ذلك الوقت ، وكان الولد الأكبر لصاحبنا قد تخرج فى كلية التجارة فعينه فى الشركة وتدرج به من مشرف على النظافة إلى عامل تليفون ثم محاسب فسكرتير لشوارتس فمندوب للبيع .

وصار صاحبنا يسافر كثيرا إلى برلين الشرقية التى فيها مركز بوليجراف ، وإن كان يبيت فى برلين الغربية لتميز فنادقها مع تعرضه للتفتيش فى كل مرة عبر الحدود . وقد تعرض مرة للمساءلة . . حيث استبدل بحسن نية بعض الماركات الغربية من بنك غربى بأخرى شرقية ، وكان يظن ان ذلك مباح مادام الاستبدال من بنك ولكن الله سلم فلم تسأله الشرطة عن شىء .

وانشأ صاحبنا إدارة للعلاقات العامة . فكان كل من يزور مكتب القاهرة أو مكتب الاسكندرية من الموكلين يرافقه موظف فى الشركة الى حيث يشاء يتحدث معه بالألمانية والانجليزية أو العربية . ثم سمح صاحبنا بالبيع بالتقسيط ليشجع أصحاب المطابع والناشرين على التعامل مع الشركة فاصبح لها ديون كثيرة على العملاء .

وفجأة جاء ساسون إلى صاحبنا يطلب مبلغا كبيرا تجمع له من عمولاته فقال له أن وعاء العمولة هو التحصيل بعد البيع كما ينص العقد ، ولكن ساسون ألح فى الرجاء أن يقبض مستحقاته كلها ، فحرر له صاحبنا شيكا بالمبلغ ، ولكن ساسون لم يسعد بالشيك وطلب أن يأخذ المبلغ نقدا ، فشك صاحبنا فى الأمر وفهم انه قد يعتزم مبارحة القطر فزاد إصراره على أن يكون الدفع بشيك ، ولكن ساسون انصرف دون أن يأخذ شيئا .

وفى اليوم التالى جاءت المخابرات الى صاحبنا تقول أن ساسون هرب عن طريق الخرطوم ، واستفهمت عن أسباب ذلك فلم يستطع صاحبنا أن يحدد سببا ولكنه سارع فأودع مستحقاته فى حساب خاص باسمه فى بنك مصر ، وهو لا يدرى حتى الآن إن كانت الحراسة على أموال الأجانب قد سحبت المبلغ .

كل ما يدريه أن أمرا صدر بعد أيام بتأميم التوكيلات جميعا . ومن الغريب أن صاحبنا طولب بدفع ما عليه من ضرائب تجارية ، ومنع من تسلم ماله قبل بعض العملاء كالأهرام والسكة الحديد وهيئة الكتاب . فلما هم برفع امره للقضاء نصحه رفيق مقصود المحامى ألا يفعل فمن المقطوع به ـ إذا كان له حق ـ أن قانونا خاصا سيصدر بمنع القضاء من نظر قضيته ، وقد ينتهى الأمر بفصله من أخبار اليوم !



الفصل الخامس

ذكريات دار المعارف

حين أممت دار المعارف فى سنة ١٩٦٣ اختار مجلس إدارة الأهرام لادارتها لجنة ثلاثية من مديرى الأهرام وهم : الدكتور فؤاد ابراهيم والدكتور جمال العطيفى والاستاذ سيد ياسين . فلما عين صاحبنا نائبا لرئيس هيئة الصحافة العربية ومشرفا عاما على دار المعارف . . انتهت مهمة اللجنة وأخلى شفيق مترى مكتبه ودعا صاحبنا للجلوس فيه فأبى قائلا « تشل قدمى ولا أدخل هذا المكتب إلا ضيفا عليك يشرب قهوتك ويطلب منك النصح . » وعين نجله فريد مترى مديرا عاما للتوزيع وأفرج عن سيارة لهما كان محجوزا عليها .

وأول ما شعر به حين بدأ عمله أن بين الأخوان المسيحيين تشاؤما من مستقبلهم بعد التأميم ، فاختار مدام سانكى سكرتيرته الخاصة . وعين عادل الغضبان نائبا للمشرف العام ، وحلمى مراد رئيسا للتحرير ، ونادية نشأت رئيسة لقسم الأطفال ، واستبقى چورچ صاروفيم مديرا للمطابع ، ونشر الاناجيل الأربعة بعد أن طبعها بالألوان وعهد بطبعها الى الاسطى حنا قائلا له « ستدخل النار إذا ظهر فى الطباعة خطأ » وهكذا أشاع صاحبنا فى الدار كلها جوا

من الاستبشار والتعاون .

وقسم الدار إلى ثلاث إدارات كبيرة هى : النشر والمطابع والتسويق : وكانت إدارة النشر هى الأم تختار الكتب فتدفع بها إلى المطابع بالأجر ، ثم تعهد بها لادارة التسويق مقابل عمولة تتقاضاها ، وفى آخر العام يعد حساب لتشغيل كل إدارة على حدة فيه ايراداتها ومصروفاتها ثم يعد حساب عام للارباح يضم الادارات الثلاث .

وألف صاحبنا لجنة لاختيار الكتب كان أعضاؤها هم الاساتذة الدكتور السعيد مصطفى السعيد مدير جامعة القاهرة الأسبق والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط فيما بعد ، وعادل الغضبان وحلمى مراد ، ومعهم مدير المطابع ومدير التسويق .

وكان صاحبنا يجمع العاملين جميعا فى مدرج كبير فى آخر العام ويشرح لهم ميزانية الدار فى تفصيل ، ويتلقى شكاواهم وانتقاداتهم فيتقبلها فى جو من الزمالة ، أو يرد عليها بالمنطق والأرقام . كان يقول لهم إن فى المطابع ثمانية عشر مخرجا هى الآلات ، وكان يحسب لهم تكاليف الساعة فى كل منها فإذا تعطلت نقصت الأرباح بهذا المقدار وعليهم نصف هذه الخسارة مادام لهم نصف الارباح . ويذكر صاحبنا أن مديرة مكتبه قد أخذت عليه فى أحد الاجتماعات انه ينفق نصف وقته فى استقبال المؤلفين والوكلاء فلا يبقى له إلا النصف الآخر للتخطيط ، ووجه إليه عامل نقدا آخر هو أنه يمر فى المطابع فإذا رأى فيها تقصيرا حاسب عليه أول من يقابله من الموظفين سواء كان مختصا أوغير مختص .

وكان فى المطابع عامل يكثر من طلب السلف لانه مدمن أفيون . فإذا حل وقت الوجبة جاء إلى مكتب صاحبنا صاخبا يشتبك فى نقاش طويل مع مديرة مكتبه . وذات يوم عاد الى عمله فى

المطابع هائما فوجد صاحبنا فى مروره الصباحى فخطر له فى الحال ان ينتقم منه ، واستل سكينا كبيرا من قسم التجليد وجرى ليغمده فى عنقه لولا ان رئيس القسم لمحه فى الوقت المناسب فضربه على يده فأسقط منها السكين . وأمسك العمال به ليسلموه للشرطة بتهمة الشروع فى القتل ، ولكن صاحبنا أبعدهم عنه وأرسله الى المستشفى . وها هوذا ما يزال حتى اليوم يعيث فى الأرض حياة ، وهو سعيد بأسرته وأبنائه بعد ان تم شفاؤه . . وقد زار صاحبنا دار المعارف أخيرا فاستقبله حيدر ـ وهذا اسمه ـ بالاحضان والقبلات .

ومع ذلك فإن دارا للنشر من دور القطاع العام رأت نجاح دار المعارف فكتبت لوزارة الثقافة تقول « ان دارنا خسرت فى هذه السنة مليون جنيه من أجل الشعب ، وكسبت دار زميلة مليونا من أجل نفسها » فرد صاحبنا بأنه يرضى أن تكون المقارنة بين الدارين على أساس عدد الكتب التى باعتها كل منهما !

وقد كان بين الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وصاحبنا خلاف فى الرأى فهو يرى ان النشر رسالة قبل كل شىء . وصاحبنا يرى انه صناعة تحمل الرسالة . فلما اشتد الجدل بينهما لجأ صاحبنا إلى الصداقة التى تربطهما فقال « يا اسماعيل ان الكتاب سلعة لا تروج إلا باختيار الموضوع ومعالجته واخراجه وطبعه وتسويقه وتمويله ، وليس مادة فقط ، فلابد من أن يكون انتاجه على هذه الأسس جميعا ، ومهما يكن من أمر خلافنا ، فإن رأيى فى النهاية يحكم رأيك بحكم منصبى ومنصبك . مع احترامى لشخصك كسياسى واقتصادى لامع » فكان يرضى بالواقع إذا لم يقتنع بالمنطق .

لقد كان صاحبنا يقدر ثمن الكتاب بالجنيه المصرى ثم يبيعه فى الخارج بعد ان يضع محل هذا الجنيه جنيها استرلينيا أو عراقيا أو كويتيا أو سودانيا مع اختلاف قيمتها وذلك تمشيا مع القوة الشرائية

فى كل قطر . وكان يحسب الجنيه المصرى بعشر ليرات لبنانية فى بيروت وعشر ليرات سورية فى دمشق مع اختلافهما فى القيمة وقت أن كان الجنيه المصرى يساوى أربع ليرات لبنانية ثم يعطى ٦٠ ٪ من الثمن للمكتبات لانها كانت العنصر الأساسى فى الترويج .

وقد عهد إليه كمال رفعت أمين الاعلام فى الاتحاد الاشتراكى ان يشرف مع دار المعارف على دار الشعب ، فزاره يوما ميكانيكى من شركة المحاريث والهندسة دون موعد سابق وسلمهُ خطابا من شمس بدران وزير الدفاع يقول فيه ان المشير عبد الحكيم عامر قد أمر بتعيين هذا الميكانيكى مديرا عاما لمطابع الشعب . دخل الميكانيكى والسيجارة فى فمه وأعطى يده لصاحبنا مسلما ثم استرجعها ليجلس ساقا على ساق دون أن يدعوه للجلوس أحد . ثم أخرج من جيبه علبة سجائر « كنت » وقدم منها سيجارة لصاحبنا أخرجها بيده من العلبة فاعتذر صاحبنا قائلا انه لايدخن ووالده لم يكن يدخن « كنت » وإنما كان يلف السجائر الفرط . واصطنع الميكانيكى شيئا من الحياء ليقابل به تواضع صاحبنا ، ولكنه ذكر فى فخار أن المشير هو خال زوجته وقدم طلبه الذى كتب فيه أنه ميكانيكى بشركة المحاريس والهندسة . فلم يملك صاحبنا ان يستمر فى هدوئه وقال هل تكتب المحاريثِ بالسين ؟ قال نعم هى كذلك . فعاد صاحبنا الى هدوئه وقال « نحن نكتبها بالثاء » .

وبعد ان انصرف الميكانيكى فكر صاحبنا فيما يفعله ، فالميكانيكى جاهل ولكنه نسيب المشير ، ولا علاقة له بالطباعة ، ولكنه نسيب المشير . وعلى رأس المطابع مدير خبير ، فهل يكون فيها مدير عام ومدير من العوام ؟!

وهداه تفكيره الى أن يلجأ لسياسى كبير فى الاتحاد الاشتراكى من انصار عبد الناصر وكان من أصدقاء صاحبنا ، فأفضى إليه

بمشكلته . قال : أقترح أن تستقيل من دار الشعب احتجاجا على تدخلى فى شئونها بدل شمس بدران وبذلك تنجو من التعيين ولاتصطدم بالمشير .

وانطلت الخطة على شمس بدران فاتصل بصاحبنا فى دار المعارف ، وبعد أن غمره بالتقدير وغمر السياسى بالشتائم ، طلب من صاحبنا أن يسترد استقالته ووعده بأن يقف إلى جانبه فقال صاحبنا « ياسيادة الوزير ان العسكرى جراح يفتح البطون ، أما المدنى من أمثالنا فهو باطنى ينصح المرضى بتعاطى نقطتين من الدواء فى كوب من الماء فإذا شفوا انتهت مهمته وإلا أحالهم إلى الجراح » وضحك شمس بدران وانتهى الحديث .

ثم عين مشرف جديد على دار الشعب فخطب فى العاملين خطبة عصماء من نوع أنه يرعى الجائع حتى يشبع ، والمريض حتى يشفى ، والصغير حتى يكبر . . إلخ . . ثم دخل إلى مكتبه فوجد طلب الميكانيكى فى انتظاره ، ولم يكن يعرف الخلفية التى تزكيه ، فعجب من أن يجرؤ ميكانيكى على التقدم لوظيفة مدير عام وأشر على الطلب « مرفوض » فجاءه فى اليوم التالى خطاب بأنه « مرفوت » .

ثم انتقل المشير عبد الحكيم عامر إلى رحمة الله فشمل التطهير جميع من يلوذ به ، وجاء الميكانيكى يشكو إلى صاحبنا فقال له « هل تريد الحق ؟ لقد ظلموك حين طلبوا تعيينك مديرا عاما ، وظلموك حين فصلوك من عملك فى شركة المحاريس والهندسة » ولم يجد الميكانيكى بدا من أن يسافر إلى الكويت ليعمل ميكانيكيا للسيارات فى جاراج .

ومن عجائب المصادفات ان صاحبنا وقع فيما فعله هذا الميكانيكى ولكن بشكل سلبى : فقد قام نزاع قضائى بينه وبين

مدير عنده فى دار المعارف بلبنان وهى شركة لبنانية ، وكان المدير لبنانيا يحتفظ بجنسيته المصرية . فقد أرسل له هذا المدير خطابا يهدده فيه بانه سيشكوه لعلى صبرى وكان رئيسا للاتحاد الاشتراكى ، فقدم صاحبنا الخطاب للقضاء اللبنانى وقال فى عريضة دعواه إن فيه استعداء للسلطات المصرية على السلطات اللبنانية . فأخذ القضاء بهذا الدفع وقضى بفصل المدير .

ومن مشاكل دار المعارف ان حسن ايرانى - وكان ناشرا فى بيروت - تقدم فى مناقصة للكتب الدراسية أعلنت عنها المملكة العربية السعودية فرست عليه وهى ليست من حقه وانما هى من حق دار المعارف وحدها لأنها هى الناشر . وسافر صاحبنا إلى وجدة ليستقصى الأمر ومعه محمد حسن مندوب الدار ، فخطر له ان يتصل على غير معرفة بالأمير عبد الله الفيصل (المحروم) .

طلبه فى التليفون وقدم نفسه له كمشرف عام على دار المعارف فسأله الأمير « أيش بتريد ؟ » قال انه علم ان الأمير سيصدر ديوان شعر جديدا ، ودار المعارف حريصة على ان تفوز بنشره « قال ذلك دون ان يكون لديه علم بصحته ولكنه افترض أن لدى الأمير دائما شعرا ينشره » قال الأمير « من قال لك ذلك . . أم كلثوم ؟ » قال : « هذا سر كبير أرجو من سمو الأمير أن يعفينى من البوح به » واتفقا على أن يتقابلا فى النادى الأهلى بجده .

وكتب الأمير للدكتور فرعون فى الرياض يطلب إليه « إفساد » المناقصة ، فسافر محمد حسن بالخطاب وتم كل شىء كما قدر له .

ومن المشاكل أيضا أن صاحبنا كان عضوا فى اللجنة التأسيسية لانشاء كلية التجارة بجامعة الأزهر ، وكان من أعضائها الشيخ أبو زهرة والاستاذ محمد الحارونى عميد كلية التجارة بجامعة

القاهرة . قال الشيخ أبوزهرة : لا يصح أن يحتوى المنهج على شيء ليس فى القرآن . فقد قال تعالى « وأذّن فى الناس بالحج » أى أعلن لهم ، وانطلاقا من هذا ندرس الاعلان » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ثم ندرس الكمبيالات وهكذا « فعقب الاستاذ الحارونى قائلا « والنفاثات فى العقد » ثم ندرس الطائرات النفاثة . فغضب الشيخ أبوزهرة غضبا شديدا من هذه السخرية وانسحب من اللجنة .

وكان الشيخ شلتوت هو شيخ الأزهر وكان متفتحا وزميلا لوالد صاحبنا فاستدعاه وطلب إليه التوسط فى تسوية الخلاف . وذهب صاحبنا إلى الشيخ أبوزهرة فقبّل يده مسترضيا ثم دعاه لتناول الغداء مع أعضاء اللجنة فى نادى الصيد وأوصى الحارونى بالتأدب فى مخاطبة الشيخ .

وبعد الغداء أكد الشيخ رأيه فقال له صاحبنا « أن من شأن ذلك ان تأتمن الحارونى على تفسير القرآن » فقال الشيخ : « أعوذ بالله » ولكنه رأى فى ذلك نتيجة حتمية فاتجه إلى صاحبنا ـ لأن أباه شيخ وقال له « مادمت محسوبا علينا فساعدنى فى حل هذه المشكلة . . قال صاحبنا « الذى أقترحه أن يتحدث المطربشون عما هو كائن ، ويتحدث المعممون عما يجب أن يكون ، وهكذا تسير الدراسة على التوازى » فوافق الشيخ ، وكتب لكلية التجارة أن تقوم فى جامعة الأزهر .

وقد أقامت أندونيسيا معرضا دوليا للكتاب العربى فسافر صاحبنا والاستاذة سهير القلماوى رئيسة هيئة الكتاب إلى جاكارتا ، وسبقت الاستاذة سهير فلم تجد مكانا فى فندق انتركونتيننتال وهو الفندق الوحيد المكيف حينذاك فى جو أندونيسيا الحار فقضت ليلتها فى ضيافة السفير الدكتور فؤاد شبل ، ووصل صاحبنا فى اليوم التالى

وكان قد حجز لنفسه غرفة فى الفندق وحجز غرفة أخرى باسمه لزميله صمويل زخارى وكان مسئولا عن السوق الاندونيسية .

وفكرّ صاحبنا فى حيلة لاسكان الاستاذة سهير القلماوى فرأى اسمها مكتوبا فى جواز سفرها هكذا دكتورة سهير القلماوى ، فأضاف إليه اسم أبو النجا فى البطاقة التى قدمها للفندق ، وبذلك أصبح الاسم بالكامل دكتورة . س . القلماوى أبو النجا ونجحت الحيلة . وافتتح سوهارتو رئيس الجمهورية المعرض ، وكان صاحبنا يعرف ان له ابنة صغيرة يعزّها فقدم له مجموعة مختارة من كتب الأطفال قدرها سوهارتو كل التقدير وكان الشغل الشاغل لصاحبنا بعد ذلك ان يبيع الكتب التى جاء بها وكانت تساوى نحو ستين ألف جنيه ، فجلس فى غرفته بالفندق وأطلق صمويل زخارى ليمر على جميع المتعاملين فى الكتب العربية .

وجاءه بصاحب مكتبة موسر واتفق مع صاحبنا على أن يكون فى الممارسة مؤيدا لصاحب المكتبة لا مندوبا عن دار المعارف . فلما بدأت الممارسة فاجأ صمويل صاحبنا بالقول إنه يطلب مجاملة العميل باعتباره عميلا قديما للدار وإلا فهو مستقيل « قال صاحبنا » واستقالتك مقبولة وانت لم تعد فى دار المعارف . فقام العميل ليتوسط فى هذا الخلاف وقبل الثمن الذى قدره صاحبنا ، وشكر صمويل على إخلاصه ثم انصرف بعد أن وقع على عقد البيع ثم حول المبلغ الى القاهرة .

أما هيئة الكتاب . . فقد عجزت عن بيع كتبها فأهدتها لسفارة مصر فى جاكارتا لتقيم بها مكتبة للمطالعة واقترحت على دار المعارف أن تعمل نفس الشيء ولكنها اعتذرت بأنها باعت كتبها .



الفصل السادس
ذكريات الأهرام

نحن الآن فى سنة ١٩٦٥ ، وعلى صبرى يقترح على جمال عبد الناصر ان يشرف الضباط الأحرار على الصحافة بصفة مباشرة ، وكان فى الحقيقة يبغى ان يسيطر على هيكل بالذات ، فلما فهم عبد الناصر « الفولة » قال : أنا موافق على هذا الرأى وأرى أن دار التحرير وروزاليوسف هما أكثر الصحف استحقاقا لاشراف شخصية قوية مثلك ، كما أرى أن يشرف أنور السادات على دار أخبار اليوم وأشرف أنا على الأهرام ودار المعارف ، وبذلك فوت عليه قصده وأيد نفوذ هيكل بدل ان يضعفه لأنه أصبح بذلك يرجع إليه مباشرة فى شئونه .

ولما نقل أنور السادات رئيسا للمركز الاسلامى ، عهد عبد الناصر الى هيكل بالاشراف أيضا على دار أخبار اليوم ، وانشأ الى جانب الاتحاد الاشتراكى هيئة مستقلة هى هيئة الصحافة العربية تشرف على الدور الثلاث الكبرى وهى الأهرام ودار المعارف وأخبار اليوم وعين هيكل رئيسا للهيئة . وكان صاحبنا نائبا للرئيس ومشرفا عاما فى نفس الوقت على دار المعارف ورئيسا لمجلس ادارة دار المعارف لبنان ومشرفا عاما على أخبار اليوم ورئيسا لمجلس إدارة

أراك . وكان أعضاء الهيئة هم : توفيق الحكيم وجلال الدين الحمامصى والدكتور جمال العطيفى والدكتور فؤاد ابراهيم ، ثم انفصلت أخبار اليوم عن الهيئة لأن إشراف هيكل على دارين متنافسين لم يكن مستساغا .

وفى أحد الأيام جاء هيكل متجهما ومعه فؤاد ابراهيم الى مكتب صاحبنا فى دار المعارف وقال ان ارنست يونس مدير اعلانات الأهرام أراد السفر إلى بيروت فى شأن من شئون العمل فلم يسمح له بذلك فى المطار وذلك بتعليمات من عبد العظيم فهمى مدير مباحث الداخلية مع أنه كان قد استوفى اجراءات السفر . واتصل هيكل بعبد العظيم فهمى فنزل الثانى عند ارادته ولحق ارنست بالطائرة . ولكن بمجرد ان وصل أرسل إلى هيكل خطابا ينبئه فيه إنه لا ينوى العودة إلى مصر . فطلب هيكل من صاحبنا أن يشرف على تسيير الأمور فى إعلانات الأهرام حتى يتدبر الأمر .

وصار صاحبنا بعد ذلك يتردد على الأهرام كلما تخفف من عمله فى دار المعارف ، حتى اتفق مع عبد الله عبد البارى ـ وكان يعمل فى أخبار اليوم مع خالد محيى الدين ـ على أن يترك عمله إلى الأهرام ، ولم يخيّب عبد الله الرجاء فنهض بالاعلانات بعد أن كان أرنست يونس يركب متنها فقط .

وكان هيكل مشغولا بانشاء دار الأهرام الجديدة ، فطلب من صاحبنا ان يسعى الى عقد قرض مع بنك انترا ببيروت بنصف مليون جنيه استرلينى تدفعها الأهرام عربونا لشرأء آلات للطباعة من المانيا الغربية ، فسافر صاحبنا إلى بيروت فى إحدى رحلاته واتصل تليفونيا بيوسف بيدس رئيس البنك . قال بيدس لا أقبل ضمان البنك المركزى فى مصر ـ وكانت مصر قد فقدت الثقة فى بنوكها بعد التأميم ـ ولا أقبل اعتماد جمال عبد الناصر ـ وكان قد قال ان

المدين أقوى من الدائن ـ بل لا أقبل موافقة البرلمان المصرى كله فأنا لا أريد أن ألجأ عند التقاضى الى محكمة عابدين .

وضاق صاحبنا بهذا الرد الجاف ولكنه تحامل على نفسه وقال « ان كل ما أطمع فيه يامسيو بيدس هو أن ألقاك لبضع دقائق ، وقد سمعت أن الدقيقة من وقتك بمليون جنيه وأنا ليس عندى خمسة ملايين لخمس دقائق فما العمل ؟ وأرضى هذا القول غروره فضحك قائلا بلغة اللبنانيين « ولو » وحدد موعدا لاستقبال صاحبنا فى مكتبه .

كان صاحبنا قد أعد لهذه الزيارة عدتها ، فقد كان متعاقدا مع الفرجانى فى ليبيا وعبد الله حرمى فى الكويت وعبد الله عبد الغنى فى قطر ـ وغيرهم كثيرون ـ على أن يكونوا فى مناطقهم وكلاء عن دار المعارف بشرط ان يتعهدوا بشراء كتب منها لاتقل قيمتها فى السنة عن مبالغ محددة ، فجعلهم يتعهدون كتابة بدفعها مباشرة إلى بنك انترا وأرفق العقود مذيلة بالتعهد كضمان للقروض فأبتسم بيدس لهذا الضمان العربى ووقع العقد فورا دون ان يرسله إلى قلم القضايا .

وبعد التوقيع دعاه صاحبنا ليقضى رأس السنة فى القاهرة فحول الدعوة الى نائبه أميل مسلم وزوجته . وسهر صاحبنا معهما حتى الفجر فى فندق النيل هيلتون ثم صحبهما إلى جناحهما المحجوز بفندق شبرد ولما يمض على تشييده ستتان ، واضطجعت الزوجة فى فراشها فشعرت بعد قليل بما ظنته ثعبانا كبيرا يزحف على جسمها من تحت قميصها ففزعت وصرخت فقام زوجها على الفور يشق قميصها ، فإذا به يجد فأرا كبيرا ، واتصل الزوج بالادارة فاعتذرت بان الفندق على النيل وهو عذر سخيف ، وتلطفت فزودتهما بمصيدة للفئران !

وفى نهاية الزيارة قدم صاحبنا لهما نسخة من القرآن مرتلا بصوت الشيخ الحصرى . وكان أميل يقيم الولائم لامراء الخليج فيذيع القرآن فى غرفة الطعام مجاملة لهم مع أنه مسيحى ـ فرد على الهدية بمجموعة صوتية لخطب تشرشل أثناء الحرب العالمية الثانية كان صاحبنا يتلقى منها دروسا فى شجاعة الرأى وبلاغة التعبير .

ويذكر صاحبنا جلسة للجمعية العامة فى الأهرام ـ وكان صاحبنا يحضرها عن دار المعارف ـ علق فيها توفيق الحكيم على نقص فى توزيع الكتب الثقافية جاء فى تقرير لصاحبنا ، فقال مازحا لهيكل « كل هذا بسبب عبد الناصر بتاعك » فرد هيكل ساخرا ، لو قلت هذا فى عهده لكان شجاعة منك ، أما وأنت تقوله الأن فهذا شىء آخر ، وأراد أن ينصرف الى جدول الأعمال ولكن الحكيم استوقفه قائلا : كنت لا أستطيع أن أقول هذا فى عهده خوفا من النفخ والواحات ، أما وقد انطلقت الحرية فى عهد السادات فقد أصبح فى وسعى أن أقوله وأنا لست فدائيا وإنما أنا مفكر .

كما يذكر صاحبنا لتوفيق الحكيم . . ان نقيب العمال أثار فى مجلس الادارة قضية المحررات اللاتى يظهرن فى قاعة التحرير بملابس فوق الركبة وطلب منعهن من ذلك ، فتحمس هيكل لهذا الرأى ولكن الحكيم صاح قائلا « فيتو » . ان مهمتنا هنا ان نحصل من المحررات على عمل . أما الأخلاق فهى من حق الأب أو الزوج . « فهب النقيب متسائلا : « هل تقبل يا أستاذ توفيق أن تجلس أمامك واحدة منهن ساقا على ساق ؟ قال طبعا وأبحلق كمان فلم يبق لى إلا البحلقة » . فضحك الجميع وانصرفوا الى جدول الأعمال .

وداعبه هيكل مرة فقال : ألا تذكر يا استاذ توفيق أنى دعوتك مرة ألى الغداء فى أحد المطاعم الكبيرة فلما هممت بدفع حسابك استأذنتك فى أن أدفع الحساب كله ووعدت انت بأن ترد لى هذه

الدعوة ولكنك تناسيت كل شىء فلم تعد تحدثنى عنها ؟ فضحك توفيق فى تخابث وقال « أنا لا أذكر ذلك ولكن لك أن تختار المطعم أو تختار الطعام » فقال هيكل أنا أختار شيراتون ، ورد توفيق على الفور « إذن الطعام سندوتش فول » قال هيكل ولكننى أريد أن آكل كبابا ، فقال توفيق : إذن عليك بالحاتى » .

أما صاحبنا فقد كان مدعوا مع توفيق الحكيم الى حفل ثقافى فى هليتون النيل ، فلما انتهى الحفل خرجا معا ونادى المنادى على سيارتيهما فاعطاه صاحبنا خمسة وعشرين قرشا واخرج توفيق الحكيم من جيبه عشرة قروش ثم التفت إلى صاحبنا قائلا : حذار ان تظن أننى مقتر فقد أمرت يدى أن تخرج مثلك ورقة بخمسة وعشرين ولكنها أبت ذلك وتعلقت بورقة من ذات العشرة قروش ورفضت ان تفارقها فكان أن خضعت لمشيئتها .

وزاره صاحبنا يوما فى مكتبه بالأهرام ليستأذنه فى نشر أحد كتبه فانتشى قائلا « يعنى انك ستدفع لى حقوق التأليف ؟ » قال : طبعا فصفق للساعى قائلا : « إذن هات قهوة للسيد العضو المنتدب » وجلس صاحبنا طويلا فلم تجئه القهوة ، واستأذن فى الانصراف بعد أن ترك له شيكا بالمطلوب وقال : ليكن فى علمك يا استاذ توفيق اننى لم أشرب عندك شيئا » فأظهر استغرابه وقال : لا فيه سوء تفاهم اننى اعتبر طلب القهوة تحية ومجيئها تحية أخرى ، ويظهر انك تريد التحيتين معا !

لقد كان توفيق الحكيم يسعد بوصف نفسه بالبخل وكانت له فى ذلك نوادر تروى .

وكان القذافى حين يجىء إلى مصر يتردد كثيرا على الأهرام ، فلما أراد فى أول مرة أن يستقل المصعد وجد مكتوبا « الدور الأرضى » باللغة الفرنسية فعلق قائلا : مش عيب تكتبوا فى الأهرام

بالانجليزى ؟ .

وقد دعاه هيكل مع زوجته مرة إلى غداء فى الأهرام ودعا معه صاحبنا وزوجته وآخرين ثم أجل الموعد فجأة لسبب لم يعرفوه ولكن السيدة منى عبد الناصر - وكانت تعمل مع صاحبنا فى دار المعارف - أخبرته فى اليوم التالى انها نبهت القذافى قبل الموعد بقليل فطلب من زوجته ان ترتدى ملابسها ولكنها اعتذرت بانها على موعد سابق مع جراح فى مستشفى القوات المسلحة « ليطاهر » طفلها ، فقال القذافى وأنا كمان عايز أنام .. فوجدت منى من واجبها ان تخطر هيكل تليفونيا وجاء هيكل للمدعوين معتذرا بأن الرئيس السادات استدعى العقيد لأمر هام .

ثم جاء يوم ... لقد دق جرس الباب فى مسكن صاحبنا فى الصباح الباكر فجاءه الخادم يقول « واحد افندى عايزك » فلما سأل عن مظهره قال « أفندى كويس » ودخل صاحبنا على الصالون يستطلع الأمر فوجد الدكتور جمال العطيفى فى انتظاره .. هكذا فى السابعة صباحا ودون تليفون سابق ، ومنه علم ان هيكل استقال من الأهرام وأن يوسف السباعى عين رئيسا لمجلس الادارة ، وعلى حمدى الجمال رئيسا للتحرير وفؤاد ابراهيم نقل إلى دار المعارف وان ممدوح سالم رئيس الوزراء يطلب صاحبنا فى تمام التاسعة ليبلغه أمرا بتعيينه عضوا منتدبا للأهرام .

وذهب صاحبنا فى الموعد فهنأه ممدوح سالم بالمنصب الجديد ولكن صاحبنا لم يظهر سعادته به ، لأنه كان يشغل ثلاثة مناصب فى ثلاث مؤسسات ناجحة .. فلما رأى رئيس الوزراء تردده قال له : « هذا هو قرار السيد الرئيس وأنا رجل ملتزم فإذا كنت لا تريد فسأنقل ذلك لسيادته وتنتهى مهمتى » وكان التهديد يطل من هذه العبارة ، فبدأ صاحبنا يتراجع متسائلا قرار ؟ لقد كنت أتصور أنه

مجرد استطلاع . أما وهو قرار فهو واجب التنفيذ . وقام السيد ممدوح سالم فعانقه مودعا .

وانتهز صاحبنا الفرصة قبل ان ينصرف فذكر لرئيس الوزراء ان له مكتبا فى شارع جواد حسنى سبق ان استولت عليه الحراسة ليكون مقرا للجنة ورق الصحف وهى لا تجتمع إلا مرة كل شهر أو شهرين ويبقى المكتب مقفلا بين الاجتماعات ، فاتصل بوزير الاقتصاد وتفاهما على إعادة المكتب لصاحبه . . ولا تسل عن مساومة الموظفين له فى تنفيذ ذلك لولا ان قال لهم ان الأمر قد صدر من رياسة الجمهورية فهرولوا لفتح الشقة وتسليمه مفتاحها . .

استقال هيكل إذن من الأهرام فاختلف يوسف السباعى مع رئيس التحرير على من تكون له الكلمة الأخيرة على المحررين واتفقا على الاحتكام للعضو المنتدب . . وهو « حرفى » كما كان يصفه يوسف السباعى - فأفتى بأن رئيس التحرير هو المرجع الأخير فى الكلمة المنشورة .

ولم يسعد رئيس مجلس الادارة بهذه الفتوى فذهب إلى أنور السادات وعاد وفى يده قرار جمهورى بتعيينه رئيسا للتحرير إلى جانب كونه رئيسا لمجلس الادارة ، وهنا جاء الجمال إلى صاحبنا يسأله رأيه فى الموقف الجديد فقال « رأيى ان يوسف أصبح يسبقك لأنه رئيس تحرير بشرطة » وشاعت هذه الفتوى بين المحررين فأصبحت مجالا للتفكه .

وكان الولد الأكبر لصاحبنا مديرا لمكتب شركة مصر للاستيراد والتصدير فى سيرالانكا فجاءه النبأ بأنه دهم بسيارته أحد المواطنين الذى دخل المستشفى للعلاج ، وسحبت السلطات جواز السفر من ولده لكى لا يغادر البلاد ، ففزع للخبر وسافر على الفور ليعالج ما حدث . وفى مطار القاهرة رأى فتاة فى ملابس ريفية طويلة تركب

معه وفى وداعها اثنان من الفلاحين البسطاء فلفت نظره منظرهم ولكنه سرعان ما انصرف عنهم إلى ما هو فيه .

وفى مطار كراتشى نزل صاحبنا ليأخذ طائرة أخرى إلى سيرالانكا فرأى الفتاة منزوية فى أحد الأركان تبكى ووجد نفسه مدفوعا إلى ان يسألها مابها . قالت إنها من دمنهور ولم تفارق بلدتها حتى إلى الاسكندرية وقد تزوجها بالتوكيل أحد أقربائها الذى يعمل مدرسا للغة العربية فى ماليزيا وهى لا تعرف طريقها إلى هناك . ومن عجب ان أحدا فى المطار لا يتكلم العربية ! قال لها صاحبنا لا تنزعجى يا ابنتى فأنا مسافر معك على نفس الطائرة وسأكون فى خدمتك .

وركبا فجاءت المضيفة تسألهما أن كانا يفضلان لعشائهما الطعام الهندى أو الأوربى وسأل صاحبنا الفتاة فاعتذرت وقالت انها لا تملك ثمن العشاء . قال لها انه محسوب فى ثمن التذكرة وطلب لها ما طلب لنفسه ، وبعد الطعام رآها تتململ فى جلستها فسألها عما يقلقها قالت انها لم تدخل دورة المياه منذ الصباح فلما افهمها ان بالطائرة عددا من الدورات قالت « هكذا فى الهواء ؟ » وأخذها إلى هناك بعد ان أفهمها كيف تتصرف .

ولما نزل قبلها فى سيرالانكا ترك معها ورقة بالانجليزية لرجال الشرطة وسائقى التاكسى فيها عنوان زوجها ثم علم من خطاب شكر أرسله له الزوج انه كان فى استقبالها بالمطار .

وعاد صاحبنا بعد أسبوع إلى القاهرة ليحضر العيد المئوى للأهرام ويشترك فى استقبال الرئيس السادات بهذه المناسبة . فوجد السباعى والجمال مختلفين من جديد على من يخطب أمامه فوفق بينهما بأن اقترح ان يتحدث الجمال عن الأهرام كجريدة سياسية ويتحدث السباعى عنها كمؤسسة تضم الأهرام والأهرام الاقتصادى

والطليعة وأدارات الكمبيوتر والميكروفيلم والمطابع التجارية ووكالة الاعلانات وتم ذلك فأصبح الخطابان متكاملين .

أما عن سلطة السباعى على الادارة فقد كان رحمه الله يعتقد ان رئيس مجلس الادارة هو رئيس العضو المنتدب ، وكان صاحبنا يعارض هذا الاتجاه انطلاقا من أنه يستمد سلطته ممن عينه وعين رئيس المجلس معا وهو رئيس الجمهورية .

ومن ذلك ان الاستاذ موسى صبرى رئيس أخبار اليوم ـ فى ذلك الوقت ـ والدكتور حسين الغمرى العضو المنتدب ذهبا يوما لزيارة يوسف السباعى وطلبا منه سلفة من ورق الصحف ، حيث ان الباخرة التى تنقله لدار أخبار اليوم تأخر وصولها فوافق السباعى . . ولما علم صاحبنا بالاتفاق فى اليوم التالى اعترض عليه لأسباب مالية وهدد بالاستقالة اذا نفذ ، فنقل السباعى رفضه الى موسى صبرى وتأثر موسى من موقف صاحبنا كزميل قديم ، فكتب له عتابا مرا رد عليه صاحبنا بأنه يقدم واجبه على شعوره وانه يعتقد ان ذلك لن يؤثر فى صداقتهما . وهكذا خرجت الصداقة بينهما من مأزق حرج .

لقد كان يوسف قصصيا كبيرا ، مجاملا ومحبا للخير ، فلما كان الافطار مع العاملين فى رمضان وكان قد صدر قرار بمنحهم بدل طبيعة المهنة بمعدل محسوب لايقل عن البدل المطبق ، وقف يوسف السباعى خطيبا وقال بحسن نية انه تقرر صرف البدلين معا . . وكان الفرق كبيرا بين ما قاله وما تقرر فعلا ، ولذلك وقف صاحبنا بعده فورا وبدأ يصحح ما قاله ، فثار العمال وصاح نقيبهم بأنه يعرف صاحبنا منذ كان مديرا عاما لجريدة المصرى وكان يحقق نجاحه على حساب العمال لمصلحة محمود أبو الفتح .

وشعر صاحبنا بحرج موقفه فكتب استقالته من منصبه مرة اخرى

ورأى قبل تقديمها لرئيس الجمهورية ان يخطر بها رئيس مجلس الادارة . قال له يوسف فى مودة كيف تستقيل وقد كنت أشكو للرئيس من كثرة العمل . . فرد قائلا : كيف تشكو ومعك أبو النجا ؟ إنك إذا استقلت فمعنى ذلك انتى سيء التقدير . وتعاهدا على ان يسحب صاحبنا استقالته مقابل ان يتنحى هو عن التدخل فى الادارة . وصفا الجو بينهما حتى سافر الى قبرص فاغتاله مجرم أثيم .

ولا يستطيع صاحبنا أن ينهى هذه الفترة من حياته دون أن يذكر فى استنكار ان هيكل أراد بعد خروجه ان يشترى مجموعة من دائرة المعارف بالبريطانية ليهديها لصديق ، فاتصل بدار المعارف ـ وهى الوكيلة عنها فى مصر ـ ليتحدث الى المسئول فى قسم الاستيراد وما ان أعلن عن اسمه حتى انكر جميع المسئولين وجودهم ، ولم يجد هيكل بدا من أن يتصل بصاحبنا فى الأهرام ، فطلب دار المعارف واستجاب له المسئولون جميعا بل ذكروا أن من حقه وقد كان عضوا فى اسرة الدار ان يحصل على خصم قدره عشرون فى المائة . وجاءت المجموعة إليه بعد قليل فسلمها لهيكل .

أيها الخجل أين حمرتك ؟ !



الفصل السابع

قصتان في استثمار مشترك

شركة مساهمة وليدة للبلاستيك اكتشفها صاحبنا حين تولى عمله الجديد فى الأهرام وساهمت المؤسسة فى أغلب أسهمها واشتركت فيها مع الاستاذ محمد غانم وشركة فرنسية تصنع أفلام « بيك » الجافة وكانت إدارة الشركة فى دار الأهرام ومصنعها عند الكليو ١٤ على الطريق الزراعى إلى الاسكندرية ، والدكتور فؤاد ابراهيم عضو الأهرام المنتدب هو رئيس مجلس ادارتها . ولما نقل فؤاد ابراهيم الى دار المعارف طلب ان يبقى رئيسا للشركة وأيده فى ذلك الفريق الفرنسى ، ولكن صاحبنا عارض هذا الاتجاه ورأى فيه تدخلا من الجانب الأجنبى لاحق له فيه وهو أقلية فى مجلس الادارة وفى الجمعية العامة ، وكان هذا الجانب قد لجأ ليوسف السباعى لينصره ، ولكن يوسف وقف مع صاحبنا فكان موقفه فصل الخطاب .

ولم يقتصر تدخل الفريق الفرنسى على تعيين صاحبنا ، بل تعدى ذلك فيما بعد إلى الاعتراض على شخص المدير العام وهو محمود رأفت بحجة انه رياضى كثير الاسفار لولا ان أفهمهم صاحبنا انه هو المسئول عن تعيين من يعمل معه فليس للمجلس كله ـ فضلا عن فريق فيه ـ ان يتدخل فى ذلك .

وإذا ظهر السبب بطل العجب . فقد وجد الرئيس الجديد ان عقد التأسيس ليس وحده الذى يحكم الشركة ، فإن معه عقدا آخر بين الفريقين المصرى والفرنسى يتعهد فيه الفريق الأول بشراء ما يلزم الشركة من آلات ومواد أولية عن طريق الفريق الثانى ، وان

هذا الفريق يستحق عن ذلك عمولة قدرها خمسة فى المائة ، عرف الرئيس ذلك فحاول ان يتخفف من العمولة ، فلما احتاج إلى آلتين متماثلتين اقتصر على واحدة طلبها من الشركة الفرنسية ، ولما وردت طلب اختها مباشرة من الشركة الألمانية الموردة ، فظهر ان ثمنها يقل بمقدار عشرة فى المائة ، ولكن الشركة الفرنسية رأت من حقها ان تطالب بعمولتها عن الآلة الثانية ، فلما واجهها بما أخذته عن الأولى قالت : هذا شأننا فلم تكن معنا فى تعاقدنا مع الشركة الموردة . وهددت بالاحتكام للغرفة التجارية بباريس كما ينص العقد بين الجانبين ، وكان العقد ينص أيضا على ان تستورد « البلية » مصنوعة من الشركة إذ أن تصنيعها محظور لان فيه سر الصنعة .

لقد خرج صاحبنا من هذه التجربة بنتيجة لافكاك منها هى ان الاجانب لا يشتركون فى البلاد النامية للاستثمار وحده . وإنما يشاركون ليستفيدوا من التعامل . وفهم لماذا نجحت مصانع الشريف فى صناعة البلاستيك ، وكانت تبيع منتجاتها بسعر أقل .

ويذكر صاحبنا ان الفريق الفرنسى اختار لادارة المصنع من الناحية الفنية مهندسا ألمانيا كان فى الحقيقة مجرد عامل مدرب ، وعرضت عليه الشركة مسكنا لائقا فى مصر الجديدة ـ وهى قريبة من المصنع ـ ولكنه أصر على أن يسكن فى المعادى مع بعدها لأن صديقات زوجته يسكنّ فيها . ولم تجد الشركة بدا من أن تستأجر له الشقة التى أرادها وان تدفع فيها ضعف نظيرتها فى مصر الجديدة .

على ان هذا العامل كان يتميز بفهمه الكامل لعمله ، ومواظبته عليه ، وغيرته على سلامة الآلات وجودة الانتاج ، وكان معه فى المصنع مهندس مصرى متخرج فى جامعة القاهرة كان يحضر

متأخرا فى الصباح فيبقى فى ملابسه الكاملة التى جاء بها جالسا فى المكتب ليصرف الشئون الادارية بدل ان يتعلم من الألمانى شيئا عن الآلات والأقلام !

وفى أحد الأيام احترق موتور آلة حديثة مزودة بنور أحمر يضىء ليعلن عن حاجتها إلى مزيد من الزيت ، ولكن المهندس كان فى شغل عنها بالبنات اللائى يعملن فى التغليف فلم يلاحظ النور الأحمر رغم مرور وقت طويل على ظهوره ، واستشاط العامل الالمانى غضبا فأساء إلى المهندس . وقامت الدنيا لأن المانيًا أساء الى مصرى ، وهو فهم خاطىء يناقش الموضوع من ظهره .

إن هذا المهندس المصرى لم يتخرج فى الحقيقة من كلية الهندسة وإنما خرج منها فقط بعد ان انهى سنواته الخمس دون ان يدخل الورشة . وإذا كان قد تعلم شيئا عن النظرية الهندسية فإنه لم يتعلم كيف يمارسها .

ثم بدأ صاحبنا يدرس سوق الأقلام الجافة ، وكان العقد يعطى الشركة حق تصديرها إلى انحاء العالم العربى ، فوجد بيروت تستورد الأقلام رأسا من باريس بسعر أقل ثم تصدرها دون تعرض لقيود التصدير فى مصر .

وجاء الحاج محمود العربى يعرض أن يكون وكيلا وحيدا لاقلام بيك فى مصر ، ولكن الشركة خافت من أن يتحكم فى السوق وان يفرض شروطه عليها بعد ذلك ، فآثرت تقسيم القطر إلى مناطق يتعهد الوكيل فى كل منها ببيع حد أدنى من صناديق الأقلام ، وكانت النتيجة ان كل ما لا يصل إلى هذا الحد يهرب ما عنده الى المناطق الأخرى ، ودعت هذه المنافسة غير المشروعة إلى خفض الأسعار وانصراف معظم الوكلاء عن التعامل فى الأقلام .

كان الاعتقاد السائد ان المتداول منها فى السوق المصرية

لا يزيد على نوعين أو ثلاثة ، فطلب صاحبنا من صديقه الدكتور عاطف عبيد ان يجرى بحثا ميدانيا على ذلك وقدم تقريره فإذا بالعدد يزيد عن ثلاثين نوعا من بينها قلم حبر صينى لا يزيد ثمنه عن ثمن « بيك » وقدم الدكتور عاطف مع تقريره قلما من كل نوع ، فلما عرض صاحبنا كل ذلك على مجلس الادارة دهش أعضاؤه مما لم يكن فى حسبانهم .

وقد طلب صاحبنا من بنك وطنى كبير ان يفتح له اعتمادا بقيمة آلات يريد استيرادها ، ومضى الوقت والطلب ينتقل من لجنة الى اخرى ومن اللجان الى مجلس الادارة ، وكان صاحبنا يتعامل فى نفس الوقت مع فرع بنك أمريكى فطلب إليه فتح الاعتماد فإذا بمدير البنك يتصل بصاحبنا فى نفس اليوم ليشكره على طلبه ويرجو تحديد موعد يزوره فيه لاستيفاء البيانات . . وتم كل شىء فى أسبوع . كل ما طلبه الأمريكى هو ان يكون لبنكه حق ارسال محاسب إلى مركز الشركة ليتأكد من صحة البيانات التى يقدمها عن حالتها أو يقبل صاحبنا بدلا من ذلك أن يكون مسئولا بصفته الشخصية عن صحة هذه البيانات .

أما بنك القطاع العام فقد اتصل بصاحبنا بعد أكثر من شهرين ليهنئة بموافقه مجلس الادارة على المبدأ ، وليطلب ضمان الأهرام للشركة فى هذا الاعتماد ، وقد أجابه صاحبنا بأن الاعتماد قد فتح وان الالات قد شحنت من مرسيليا فى طريقها إلى الاسكندرية .

قصة يرويها عن شركة للاقلام الجافة ولكنها تصور ما يحدث لشركات الاستثمار فى عهد الانفتاح . ان نجاح هذه الشركات يتطلب ما يلى :

أولا — أن يصدر تشريع ينص على ان عقد الشركة ونظامها الأساسى عند تكوينها هما المصدران الوحيدان اللذان يعتد بهما ،

وان كل اتفاق آخر غير معلن بين المساهمين يقع باطلا .

ثانيا ـ ان تركز دراسات الجدوى على « توطين » التكنولوجيا فى مصر لا على مجرد استيرادها من البلاد المتقدمة .

ثالثا : ان ينشأ فى مصر الجديدة أو مدينة نصر مركز لخدمة المستثمرين كما فعلت اليونان يغنيهم عن التردد على المصالح المختلفة فيقدم لهم ما يسألون عنه من معلومات ودراسات ويساعدهم فى الاجراءات الجمركية والضريبية ، بل يسهل لهم الحصول على مساكن مناسبة وسائقين وطهاة وشغالات . . إلخ .

ولابد ان يختار العاملون والعاملات فى هذا المركز ممن يتميزون بالمظهر اللائق ويجيدون لغة أجنبية .

رابعا ـ ان يكون الاعتماد فى التمويل على رؤوس الأموال المصرية والعربية ، وفى التكنولوجيا على المعرفة الغربية ، وان تهتم المعاهد والجامعات فى مصر بالتدريب مع التعليم .

ان صاحبنا ذهب يوما لمقابلة وزير الاستثمار فى شارع عدلى فوجد المصاعد كلها معطلة والموظفين يتزاحمون فى الدور الأرضى على شراء الفراخ من الجمعية التعاونية ، ورأى المدير العام للمعونة الأمريكية حائرا وكان على موعد مع وزير الاقتصاد فى نفس المبنى .

وقد اتصل بصاحبنا مستثمر صديق من قسم الهرم كان محجوزا فيه مع زوجته وطفله فى حجرة واحدة مع اللصوص ، لأنه تجاوز بسيارته السرعة المقررة فى طريقه الى الفيوم ولم يكن الرجل يعرف ما هو مقرر .

وقال له مستثمر انه أرسل لوزارة الاستثمار فى مصر طلبين بالتلكس لتحديد موعد لبحث مشروع كبير . وجاءه الرد بموعد اللقاء المحدد واسم وكيل الوزارة المختص ، فحجز الرجل جناحا

فى فندق كبير وجاء بالطائرة من نيويورك فوجد وكيل الوزارة فى أجازة ولم يجد أحدا يعرف عن موعده شيئا .

وعلق مستثمر آخر كان معهما فقال : أن المختص قابله ولكن فى مكتب به زائرون آخرون يجوز ان يكون بينهم منافس . وقد استمر المختص يتحدث فى التليفون ويطيل الحديث ويستقبل موظفيه ثم خرج لمقابلة الوزير وعاد بعد أربعين دقيقة فلم يجد المستثمر مبررا لأن يقول شيئا وودعه المختص بضحكه عاليه وانجليزية عرجاء .

ان صاحبنا قد بدأ هذا الفصل بإلقاء اللوم على المستثمرين ثم ختمه بالقاء اللوم على المختصين المصريين ، ومعنى ذلك أن على الدولة ان تفعل شيئا يحقق التعاون بين الجانبين .

وقد قبل صاحبنا بعد سنوات من ذلك منصب العضو المنتدب لشركة استثمار مشترك أخرى فوجد مبررات الفشل كامنة فى عقد الشركة ونظامها الأساسى مع عدم التنسيق فى السلطات الادارية .

لقد تكونت برأسمال صغير ولكن الاستثمارات بلغت خمسة وثمانين مليون دولار ، فلم يعد بد من تدبير الفرق بالاقتراض من البنوك بفوائد ربوية تزيد جملتها على ما يمكن للشركة أن تحققه من فائض .

وجاء رأس المال مناصفة بين الشريكين العربى والمصرى على خلاف ما هو متبع فى شركات الاستثمار الأخرى من أن تكون غالبية رأس المال للشريك المصرى .

ونص فى العقد على أن يكون الشريك العربى هو العضو المنتدب ، واطلقت سلطانه فى إدارة الشركة حتى غلبت سلطة مجلس الادارة بل سلطة الجمعية العامة نفسها .

والنتيجة ان الشركة سارت الى الخلف فتعذر التعاون بين

الشريكين وتأخر افتتاح فندق لها من سنة ١٩٨١ كما كان مقدرا إلى أواخر سنة ١٩٨٥ . ثم استقال مدير الفندق ونائبة وهما مصريان لانهما لم يستطيعا العمل فى هذا الجو . ولو أجريت للشركة من أول الأمر دراسة جدوى لما ولدت هكذا مشوهة ، ولما وجدت الادارة نفسها من أول الأمر غارقة فى مشاكلها .

ان الاستثمار المشترك مطلوب ، ولكن المخاطرة فيه لابد ان تكون محسوبة من قبل .

الفصل الثامن

من إدارة الصحف إلى أعمال البنوك

كان أول عهده بالمصارف فى بنك مصر عماد الدين بعد تخرجه مباشرة من مدرسة التجارة العليا فى سنة ١٩٢٩ . كان عمله مقصورا على جمع الأرقام طول النهار فلم تكن الآلات الحاسبة قد دخلته بعد . وجاء طلعت حرب يوما ليفتش على أعمال الادارات ولما يمض على صاحبنا أسبوع واحد فى إدارة الحسابات ، فربت على كتفه وسأل مديره عن حاله فقال انه يخطىء فى الجمع مع انه خريج التجارة العليا . وأستدرك طلعت حرب قائلا « لا ياسيدى انه لم يتخرج منها ليقضى وقته فى جمع خانات يتألف مجموعها من أربعة أرقام فيكتب رقم الأحاد وينقل ثلاثة أرقام إلى خانة العشرات . نحن المسئولون ، فذلك عمل الماكينات التى تأخر وصولها ، واستغرب صاحبنا هذا القول من طلعت حرب فأستفهم منه فى سذاجة وهل الماكينات تجمع ؟ فضحك وتلطف قائلا : « نعم وستراها قريبا ان شاء الله » ولكن صاحبنا لم يكن سعيدا بعمله فآثر عليه التدريس ، ولم يعد يربطه ببنك مصر إلا حساب فتحه فيه ومازال مفتوحا حتى الآن .

وفى سنة ١٩٧٤ أى بعد خمسة وأربعين عاما من العمل فى بنك

مصر دق جرس التليفون فى دار المعارف وكان الدكتور عبد المنعم القيسونى على الخط قال انه يود أن يزوره فى مكتبه ليتحدث إليه فرحب ، وعرض على صاحبنا أن يكون عضوا فى مجلس إدارة المصرف العربى الدولى فقبل شاكرا .

وكان البنك عند التأسيس شركة بين مصر وليبيا . أما ليبيا فقد دفعت حصتها كاملة ، وأما مصر فقد دفعت الربع فقط ومكثت تفكر فى تدبير الباقى . وأخيرا خطر للدكتور القيسونى أن يدفعه عينا فذهب إلى حمدى عاشور محافظ القاهرة وقتذاك واشترى منه ثلاثين ألف متر من الأرض على كورنيش النيل هى التى يقوم عليها اليوم فندق رمسيس هيلتون وعمارات بلازا وغيرها .

وكان ثمن المتر منخفضا ، ولكن معمر القذافى لم يرض به . وفيما كان الأمر محلا للتفاوض ، أعلن أنور السادات سياسة الانفتاح فتضاعف ثمن الأرض وعاد القذافى فوافق على السعر الذى سبق أن رفضه ولكن إدارة البنك كانت قد سحبت عرضها فتم الاتفاق على زيادته بنحو عشرة فى المائة مصاريف إصدار .

وكان من الطبيعى ان يدعو البنك إمارات الخليج الى المساهمة فى البنك ، فطلب الدكتور القيسونى من صاحبنا أن يزور الشيخ خليفة آل ثانى حاكم قطر ففعل . قال الشيخ خليفة أن عنده إجابتين . . واحدة رسمية من حاكم قطر إلى عضو مجلس إدارة البنك ، والأخرى من عربى إلى أخ عربى فبأيهما يبدأ ؟

قال صاحبنا « بالاجابة الرسمية إذا سمحتم » قال : « إنه يرحب بالاستجابة لطلب الشقيقة الكبرى مصر وسيعرض الأمر على مجلس الوزراء ومجلس الشورى ثم يوافينا بالقرار » قال صاحبنا : أما إجابة العربى للعربى ؟ فقال : هذه تستلزم ان ترخص لى أولا بتكذيبها إذا أثيرت على مستوى رسمى فوعد سموه بذلك . قال : يأخى ان

مصر سبق ان أممت الأموال العربية فيما أممت ووعدت بتعويض عادل ولكنها لم تدفع شيئا ولذلك فإننى لا استطيع المغامرة بأموال أخرى .

ولما عاد صاحبنا إلى القاهرة قدم للدكتور القيسونى مذكرة مكتوبة بالاجابة الأولى ، وأراق فى إذنه حديثا هامسا عن الاجابة الثانية ، فعرض القيسونى الأمر على الرئيس السادات الذى وافق على أن يكون الاحتكام فى أى خلاف يستجد من اختصاص غرفة التجارة فى باريس وبذلك ساهمت قطر .

وكان الأمير عبد الله الجابر الصباح مقيما مع زوجته الشاعرة سعاد الصباح فى قصرها بجاردن سيتى ، وقد خطر للسيدة سعاد ان تطبع ديوانا لها فى دار المعارف ، فتحدثت فى ذلك إلى إسماعيل شوقى مدير المطابع وهو رجل فاضل لا يعرف اللف أو الدوران قال : لها فى صراحة ان خطة الانتاج التى وضعها صاحبنا لاتسمح بانجاز هذا الديوان قبل ثلاثة أشهر ، فطلبت صاحبنا تليفونيا لترجوه ان ينهى الديوان فى نصف هذه المدة فوعدها بان يطبعه فى شهر واحد ، وطلب من الاستاذ اسماعيل شوقى ان يقطع أوصال الخطة بما يسمح بتنفيذ هذا الوعد !

ثم اختار الشاعر الكبير صالح جودت ليصحح تجارب الديوان فكان يقترح عليها أحيانا بعض التعديلات ولم تجد سعاد بأسا من أن تقبلها ثم كافأته على جهده بمبلغ كبير جاء بعد تسلمه الى صاحبنا يقول « هكذا تكون المعاملة وإلا فلا . إنى لن أتعامل معكم بعد الان إلا إذا اشتريتم شعرى . أما أن تعرضوه فى الأسواق ثم تعطوننى على ما يباع منه حقوق التأليف التافهة فإنى أرفضه من الآن . قلت « يا صالح مهلا فقد تحتاج لدار المعارف مستقبلا » فاستدرك ضاحكا » حينئذ استرضيكم من جديد والأمر لله !

ولما رأى صاحبنا الجو مهيأ استأذن الدكتور القيسونى فى دعوة الأمير الصباح وزوجته لحضور جلسة مجلس الادارة وكان قد أهدى كل عضو من أعضاء المجلس نسخة من الديوان فأبدوا إعجابهم بقصائده وسعد زوجها بذلك وكان معهما الدكتور حامد محمود فطلب إليه الأمير أن يحرر شيكا بمليونى جنيه استرلينى مساهمة منه باسم الأولاد فى رأس مال البنك . واقترحت الوالدة ان يكون المبلغ مناصفة بين الولد والبنت . . فثار الأمير مستنكرا « كيف تكون البنت مثل الولد ؟ »

وكان الدكتور القيسونى متخصصا فى توزيع النجاحات على الأعضاء . كان إذا حقق نجاحا عرضه على المجلس مشيدا بما كان للدكتور السايح من فضل فى الاعداد له ، وما كان لاحمد فؤاد رئيس بنك مصر من فضل السبق بالتفكير فيه ، وما كان للدكتور محمود غانم المستشار القانونى من فضل فى إعداد العقد . وقد ذكر مرة اسم صاحبنا فى معرض الثناء ، فلما استعرض دوره لم يجد لنفسه فضلا إلا أنه حضر الاجتماع الذى أبرم فيه العقد .

ودخل البنك فى مفاوضات مع شركة طباعة إيطالية كبيرة لانشاء مطبعة بالاسكندرية وأرسلت الشركة طائرة خاصة إلى القاهرة سافر عليها صاحبنا مع الدكتور مصطفى خليل إلى ميلانو ـ وكان مستشارا للبنك ـ وتم الاتفاق على الاسس التى تقوم عليها المطبعة ولكن نقابة عمال المطابع المصرية كتبت للجهات المسئولة تقريرا ذكرت فيه انه من غير المناسب ان تعمل شركة استثمار أجنبية فى الاعلام المصرى فأصيب المشروع بالسكتة القلبية .

ثم ساءت العلاقات بين القذافى ومصر ، فاحتج على ان يكون عدد الاعضاء المصريين فى مجلس الادارة أكبر من عدد الليبيين وطلب زيادتهم فوجد الدكتور القيسونى حلا بديلا هو أن ينقص عدد

الأعضاء المصريين ، وكان صاحبنا من بين المستقيلين . وكان القيسونى فى هذا الحل دبلوماسيا بارعا .

ثم استقال صاحبنا من الأهرام فى سنة ١٩٨٠ فزاره الدكتور وجيه شندى فى بيته وعرض عليه ان يكون مستشاراً لبنك جديد اسمه هو بنك الاستثمار العربى فقبل . وانشأ الدكتور شندى مجلسا للمستشارين من ثلاثة كان صاحبنا واحدا منهم . كانت مسئوليته فى المحل الأول هى التنظيم والتسويق والاعلان . أما التنظيم فقد كان يقتضى ملء الوظائف باحسن المتقدمين لها وكان صاحبنا يبذل فى الانتقاء وقتا طويلا وجهدا ملحوظا ، وكان يستعرض النظم المصرفية المصرية والانجليزية والأمريكية لينتقى من بينها فى كل حالة أكثرها ملاءمة للبيئة المصرية وهو لا ينسى فى ذلك فضل الاساتذة محمد عبد العزيز وأحمد اسماعيل المديرين بالبنك الأهلى وأحمد يحيى المراجع بمكتب الاستاذ حازم حسن .

أما التسويق فقد خطر له فى تشجيع الودائع ان يصرف فائدتها مقدما فكان لذلك أثر كبير فى زيادتها .

وأما الإعلان فقد كان حجر الزاوية فيه اختيار الاسم والعلامة التجارية والشعار ، وكانت ... الاعلان مقصورة على الصحف والاعلان بالبريد ، ونجحت الحملة الاعلانية فى تقديم البنك للجمهور ، ثم عين الدكتور وجيه شندى وزيرا للاستثمار فاستقال صاحبنا معه ، وعين الاستاذ عزت مذكور مديرا عاما للبنك فاقتصرت مهمة صاحبنا على حضور بعض الجلسات المهمة والاشتراك فى التدريب .

ثم أسس الدكتور عبد المنعم الطناملى البنك الوطنى المصرى وأصبح صاحبنا مستشارا له ، فلما قام خلاف ـ وكان مستشارا لرئيس البنك بينه وبين نائبه الدكتور نزيه ضيف استشير صاحبنا

فى الخلاف ففضل ان يتخلى عن ابداء الرأى لأن صفة هامة تنقصه وهى الحيدة . ولما سئل : كيف تقوم بعملك وسط هذا الخلاف بين الاثنين ؟ قال : أنتظر حتى يتفقا ، ثم انتهى الأمر باستقالة الدكتور الطناملى واستقالة صاحبنا معه .

والآن ما هى الخبرة التى خرج بها صاحبنا من العمل فى البنوك الأربعة ، ومن التعامل مع غيرها ؟

ان البنوك تشبه الفنادق الكبرى فى مظاهرها وفى مطابخها . فالمظاهر توحى بالثقة ، ولكن المطابخ تحتاج إلى كثير من النظافة . فالبنوك تعنى بمبانيها وتستخدم الحاسبات الالكترونية وأدوات الاتصال الحديثة ولذلك يثق فيها المتعاملون ، فإذا اختلفت أرقامها مع أرقامهم عدلوا فى دفاترهم بما يتفق مع أرقام البنك دون مراجعة .

ان البنوك تضبط حساباتها بمراجعة المقبوضات والمدفوعات الفعلية فى الخزانة على المقبوضات والمدفوعات الرقمية فى الدفاتر ولكن صحة المجموع لا تدل على صحة كل حساب . ومن أجل ذلك ترسل البنوك لعملائها كشوف حسابات تطلب منهم مراجعتها ولكن قليلين من العملاء يفعلون .

ان بعض البنوك تؤخر التحويلات والشيكات التى تجىء عن طريقها لتستفيد من الفوائد المترتبة على هذا التأخير ، كما انها تزيد فى الفوائد والعمولات ومصاريف البريد بما يستحق يقظة المتعاملين .

وعند فتح الاعتمادات وعمل خطابات الضمان لابد أن يراجع العميل العقد جيدا ، فإن فيه كثيرا من شروط الأسد التى تعفى البنك من بعض واجباته وتحمل العميل فوق ما يستطيع ، وغالبا ما تكون هذه الشروط فى ظهر العقد بحروف صغيرة يصعب على

العميل قراءتها وفهمها لانها مكتوبة بلغة مصرفية وقانونية .

ان هذا الكلام لا يقتصر على البنوك المصرية ، بل يتعداها إلى البنوك فى جميع أنحاء العالم ، ولعل هذا من أسرار الأرباح الطائلة التى تحققها .

الفصـــل التــاســـع

من أراك إلى ميج

ترك صاحبنا دار المعارف فى سنة ١٩٧٦ فترك معها المركز العربى للبحوث والادارة (آراك) وكان مقره فى نفس الدار ، وتولى رياسته الدكتور فؤاد ابراهيم وكان قد نقل عضوا منتدبا لدار المعارف . ولم يمض إلا قليل حتى دبت الخلافات بين الرئيس الجديد وزملائه الفنيين فى المركز ، فاستقال الدكتور عاطف عبيد والدكتور أسامه الخولى والاستاذ حسن جاد ، وجاء الثلاثة الى منزل صاحبنا يستشيرونه فى الأمر . قال لهم : انه يعز عليه ان ينهار هذا المركز العلمى الناجح بخروجهم بعد ان حقق انجازات كبيرة منها :

— دراسة سوق الكتاب فى مصر بالاشتراك مع الجامعة الأمريكية .

— تنظيم جريدة الوطن فى الكويت بعد تأسيسها بمساعدة الاستاذين أمين عدلى وطلعت الزهيرى .

— تنظيم صناعة النفط بالعراق بقيادة المهندس أحمد هلال .

— تنظيم جامعة بغداد .

— دارسة السوق المصرية لمركز تجارة اليابان .

— دراسة رسوم الملاحة فى قناة السويس قبيل فتحها بعد حرب ١٩٧٣ .

— دراسة استزراع الأراضى فى جنوب اليمن لحساب مؤسسة الفاو .

قال لهم هذا ولكنهم أصروا آسفين على ان التعاون مع الرئيس الجديد لم يعد ممكنا . وبعد استقالتهم بأشهر قليلة جاء يوسف السباعى فى الأهرام ليقول لصاحبنا انه اتفق مع فؤاد ابراهيم على ان يترك له قيادة آراك ، وكان يظن أنه سيفرح لهذا الخبر ، ولكنه قابله بفتور واعتذر بانه ليس حريصا على أن يكون رئيسا سابقا للمركز مرتين !

ثم ترك فؤاد ابراهيم دار المعارف وأصبح مديرا للتدريب فى اتحاد البنوك ، وترك آراك حيا يرزق ، ومن ناحية أخرى بدأ الدكتور عاطف عبيد مع الاستاذ على الشلقانى المحامى فى تكوين شركة مساهمة خاضعة للقانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٦ باسم المجموعة الاستشارية للشرق الأوسط (ميج) كان العضو المنتدب فيها أمريكيا ومن بين أعضاء مجلس الادارة أمريكى آخر من رجال العلاقات العامة ، واتفق المؤسسون على اختيار صاحبنا رئيسا لمجلس الادارة واختيار المحاسب حازم حسن مراجعا قانونيا للشركة ، وبعد قليل انضم للمؤسسين المهندسان سامى عبد الباقى وأشرف علوبة .

ومن أعجب ما حدث فى آراك ان رئيسا عربيا حضر إلى القاهرة فى زيارة للرئيس الراحل أنور السادات وكان بينه وبين محمد حسنين هيكل سوء تفاهم ، فاقترح عليه السادات ان يزوره فى قصر القبة حيث يقيم ، ووافق هيكل ولكنه خوفا من ان تفسر زيارته على انها اعتذار اقترح ان يقبل الرئيس دعوته لزيارة الأهرام فغضب

الرئيس واضمرها فى نفسه .

ولما عاد الى بلاده فهم ان حسن جاد يعمل هناك لحساب الأهرام فقبض عليه بتهمة انه أفشى أسرارا عن العمل الاستشارى . واتصل صاحبنا تليفونيا بصديق له كان مديرا لمكتب الرئيس فأفهمه هذا حقيقة الأمر واقترح عليه ان يحضر فورا لايضاح العلاقة بين آراك والأهرام .

وسافر صاحبنا فوكل أحد المحامين ونظرت القضية وأفرج عن حسن جاد الذى سافر على الفور إلى الكويت ، وقرر صاحبنا تصفية الفرع بعد ان قدم تقريره للدوائر الحكومية هناك .

ومما يستحق الذكر أيضا ان صاحبنا سافر مع السيد الوزير عبد المجيد العبد وكان مشرفا على مركز التدريب القومى كمستشار له إلى لندن ليوقعا اتفاقا مع شركة أمريكية عن جامعة مفتوحة فى مصر تذيع برامجها التليفزيونية وتعقد امتحانات تؤهل الناجحين فيها لدخول المعاهد العليا . وقد كان الاتفاق يشمل العالم العربى كله نظير ٥٪ من جملة التحصلات .

ولما علم جمال عبد الناصر بالأمر ـ وكانت العلاقات بين مصر وأمريكا قد ساءت ـ أرسل برقية الى السفارة المصرية فى لندن بالتوقف عن توقيع العقد ، وكان هناك رأيان . رأى الدكتور العبد وهو يقضى بأن يسافر إلى مدريد ليوقع العقد مع شركة اسبانية تذيع برامج الشركة الأمريكية ، ورأى المستشار وهو ان أمر التوقف صدر ممن يملكه وهو رئيس الجمهورية فلا محل للدوران حوله ، أما الدكتور العبد فقد وقع العقد فى مدريد ، وأما المستشار فقد عاد من لندن رأسا إلى القاهرة ، ولم ينفذ العقد بطبيعة الحال ، وإنما الذى نفذ هو ابعاد الدكتور العبد عن عمله فى مركز التدريب بالزمالك .

ومما يذكره صاحبنا ان السيد محمود رياض أمين عام جامعة

الدول العربية ـ وقتئذ ـ دعا صاحبنا ومعه الدكتور عاطف عبيد والدكتور نبيل شعث رئيس مركز تيم للاستشارات الفنية لتنظيم الجامعة قبل إنتقالها إلى تونس ، فكان طبيعيا ان يكون أول سؤال يوجه للامناء المساعدين ما هى أهداف الجامعة على وجه التحديد ؟ فوجدوا جميعا ان السؤال صعب وعجزوا عن الاجابة !

أما ميج فقد قامت فى التدريب بتنظيم ندوات نقاشية للادارة العليا فى الفنادق الكبرى ، بدأت مرة كل شهر ثم أصبحت مرة كل أسبوعين وتميزت باختيار المحاضرين الممتازين ولكن نجاحها بقى محدودا لأسباب منها :

١ ـ ان المتدرب حين يهم بتطبيق ما استفاده فى دائرة عمله يجد نفسه فى بحر لجى من اللوائح فيعود إلى الروح الحكومية الأولى .

٢ ـ ان التدريب اعتمد على اساتذة الجامعة قبل الممارسين من رجال الادارة ، والأساتذة ليس لديهم غالبا إلا البضاعة التى يقدمونها فى مدرجات الجامعة .

٣ ـ ان قيمة الاشتراك تدفعها الشركات والمؤسسات غالبا بناء على طلب المشترك ، والمشترك قد يقصد من التدريب مجرد الترويح عن النفس .

٤ ـ تناول التدريب وموضوعات عامة كالانتاج والتسويق وشئون الافراد وتكاليف الانتاج . الخ ولم يتناول موضوعات قطاعية .

على ان ميج حققت إلى جانب التدريب انجازات لا سبيل لانكارها منها :

— دراسة جدوى لمستشفى ابن سينا

— اجراء بحثين ميدانيين لاتحاد التليفزيون كان لهما فضل كبير فى الدعاية له فى الخارج كوسيلة اعلانية كبرى فى مصر .

— إصدار نشرة للاجور تبصر المستثمرين الأجانب بمستوى ما يصرف للعاملين من محاسبين وبائعين وسائقين وغيرهم . .
— دراسة السوق لمنتجات مصنع ٩٩ حربى .
— دراسة جدوى لشركة ودى للأبواب والشبابيك بمدينة العاشر من رمضان .
— دراسة جدوى لبنك اسلامى كانت شركة الاسكندرية للمقاولات تنوى انشاءه .

ان صاحبنا اشتغل بالادارة فى الصحافة والتجارة والصناعة والفندقة ، ولكنه لم يشعر يوما بمثل ما شعر به من توافق مع نفسه وهو على رأس آراك وميج . ولذلك بقى على حبه للاعمال الاستشارية . فأصبح مستشارا لمؤسستى أخبار اليوم ودار الهلال ثم مستشارا لشركة آما للاعلان وللسيد على الجمال حين فرضت عليه الحراسة ولمصانع الشريف لتصنيع المنظفات الصناعية ومحافظة القاهرة عند بحث العروض الدولية التى قدمت لها لتنظيف العاصمة .

ومن يدرى ؟ فلقد توقف محمد عبد الوهاب منذ سنوات عن ممارسة الغناء ، ولكنه لم يتوقف حتى الآن عن ممارسة التلحين لمن يريد أن يغنى . .

الفصل العاشر

عودة إلى الاعلان

ما أعجب الدنيا . لقد قابل صاحبنا المرحوم / محمد شقير فى أول زيارة له الى بيروت سنة ١٩٤٤ مع وفد صحفى كان من أعضائه محمد عبد القادر حمزة نقيب الصحفيين المصريين ، ونجيب كنعان مدير تحرير الأهرام ويس سراج الدين صاحب النداء ، وكان محمد شقير مديرا لمكتب رياض الصلح ثم أصبح قبل اغتياله مستشار الرئيس أمين الجميل .

وفى أوائل الخمسينات اتفق صاحب المصرى مع ورثة فنى على انشاء شركة جديدة للاعلان باسم شركة الاعلانات المصرية كان صاحبنا مديرا عاما لها ، وقد فكرت هذه الشركة فى تكوين شركة شقيقه للاعلان فى بيروت ورأت تخفيفا لحدة المنافسة أن يساهم فيها فؤاد فرعون بالثلث وتساهم الشركة فى وكالته بالثلث أيضا . واتفق الفريقان على ان يكون محمد شقير مديرا لهذه الشركة المشتركة ، كما اتفقا على أن يكون أسمها شركة الاعلانات الشرقية وان تكون علامتها التجارية هى علامة شركة الاعلانات المصرية فى القاهرة وهى ديك يصيح .

ثم صادرت الثورة ممتلكات محمود أبو الفتح فى سنة ١٩٥٤

فتعطل المشروع ، ولكن محمد شقير سار فيه وحده بعد ان حصل على توكيل فيليب موريس فى بيروت والكويت فحافظ على الاسم والعلامة معا .

ومرت من تحت القنطرة مياه كثيرة ، فانتقل صاحبنا إلى أخبار اليوم ومنها إلى دار المعارف ومن دار المعارف إلى الأهرام حتى استقال منها فى سنة ١٩٨٠ وجاءه صديقه محمد شقير ولبنانى آخر يشتغل بالاعلانات فى أثينا بمشروع جديد هو ان يشترك معهما فى تكوين وكالة اعلانات فى القاهرة ، فكانت شركة الاعلان والتسويق AMA واتخذت الشركة لها مقرا فى المهندسين وكان عدد العاملين فيها لا يزيد على خمسة من بينهم شاب أمريكى كان يعمل مع اللبنانى الثانى فى اثينا .

وكان الشاب متزوجا ويسكن فى المعادى ولكنه كان يعيش فى تحرر تام ويؤمن بأنه سيموت يوما بالسرطان فقد كان يدخن كثيرا من السجائر والمارجوانا وكان يشرب فلا يفيق . وكانت عنده خادمة شقراء عاشت سنتين فى أمريكا ويطيب له ان يضعها فى خدمة من يزوره من الاصدقاء .

وكان فى وكالة الاعلانات رسام لم يعرف الأمريكى أنه من الأخوان المسلمين فدعاه لمقابلة أحد المعلنين فى المعادى ، ودار الشراب فاعتذر الرسام ثم انتهى العمل عند منتصف الليل فاقترح عليه الأمريكى ان يبيت عنده لكى يعودا معا فى الصباح الى المكتب ، فلم ير الرسام مانعا من الاستجابة لهذا الاقتراح ، واراد الأمريكى ان يكرمه فأفهمه ان الخادمة تحت طلبه وانها تنام فى الصالة فاستعاذ الرسام من وسوسة الشيطان وغافل الأمريكى ليطلق ساقيه للريح .

وفى الصباح كان الرسام فى انتظار صاحبنا ليفضى إليه بالقصة

فما ان بدأ التحقيق مع الأمريكى حتى اعترف بكل شىء وأبدى دهشته من أن يكون ذلك محل تحقيق . قال انه عرض على زميله السجائر والمارجوانا والويسكى والجنس ولكنه لم يفرض عليه ان يدخن أويشرب أويمارس « فأين الخطأ ؟ » وأضاف ان صاحبنا يبحث له عن تهمة لم يرتكبها ، فاتفقا على ان يعود مع زوجته الى بلاده .

وكان يعمل فى فيليب موريس مدير آخر انجليزى يعطى حصة من الميزانية الاعلانية لوكالة منافسه نظيرا عمولة يتقاضاها بحجة ان AMA لاتزال وكالة صغيرة لا تستطيع القيام بواجبها كاملا ، ولكن صاحبنا لم يعثر على دليل يدينه .

وذات يوم كان صاحبنا يشترى بعض الحلوى من جروبى بمصر الجديدة فحياه شاب قال انه من تلاميذه فسأله صاحبنا أين يعمل . قال انه محاسب فى الوكالة المنافسة ثم قال مجاملا « ياسعادة البيه والله كلما رأيت الاعلانات تفلت من يديك اسفت واعتزمت وفاء لاستاذى ان أخطره بالأمر . واتصل الحديث فوعد الشاب ان يقدم لصاحبنا كشفا بالعمولات التى صرفت للمدير الانجليزى من واقع الدفاتر . وقدم صاحبنا الكشف لفيليب موريس فواجهته به وفصلته من عمله .

ويذكر صاحبنا انه سافر فى أوائل الثمانينات إلى بيروت فصحا من نومه على صوت انفجار فسأل عنه الاستعلامات فرد العامل « هذا تكرم صاروخ » واستأنف صاحبنا النوم فإذا بانفجار آخر رهيب سأل عنه العامل فقال : « هذه تكرم قنبلة زمنية » قال له صاحبنا كيف عرفت ذلك ؟ قال : الصاروخ تكرم من فوق والقنبلة من تحت ! واطل صاحبنا من النافذة ليرى ما يحدث فجاءه الجرسون محذرا من ذلك . قال له صاحبنا انه مصرى ليس له أعداء فى

بيروت ، فرد الجرسون « يا سيدى ان الضارب لا يختار فريسته ولكنه يطلق النار فى اتجاه يحدده ويترك للرصاص ان يختار من يشاء » وأشار عليه بان يضع المرتبة على الأرض إلى جانب السرير فيحميه السرير من الرصاص إذا دخل من النافذة .

وأقفل مطار بيروت فلم يعد يستطيع صاحبنا العودة إلى القاهرة ، ثم انفتح ولكن زحام المسافرين أبقاه منتظرا اثنى عشر يوما فى الفندق حتى جاءه محمد شقير بأحد القبضايات الذى صحبه إلى المطار وحجز له مكانا فى الطائرة نظير اجر اتفقا عليه ، ومنذ ذلك اليوم لم يسافر قط إلى بيروت .

وليس ينسى صاحبنا مكرمة لأحد العاملين فى استعلامات الفندق . فقد رأى صاحبنا فى ذلك الوقت يتعشى فى الكافتيريا بدل المطعم ففهم من ذلك ان نقوده بدأت تنفد . وجاءه فى الصباح يعرض عليه ألف ليرة أى ما يعادل فى ذلك الوقت مائتين وخمسين جنيها ، وألح فى قبولها حتى اضطر صاحبنا أن يخرج له محفظته ليطمئنه ان لديه ما يكفى . وحين ترك الفندق قدم له هدية صغيرة تعبيرا عن شكره . هذه هى لبنان تعرف الكرم حين تحب وتعبر بالرصاص حين تكره .

ثم باع الصديقان حصتيهما فى AMA إلى شركة أمريكية للاعلان وطلبت الشركة منهما ان يساعداها على التخلص من مديرها ليعينا بدله مديرا اكفأ ، ولكن مديريها حضروا إلى القاهرة بعد ذلك فالتقوا به على عشاء وعرضوا عليه ان يبقى معهم فلم يقبل إلا بشروط جديدة حددها لنفسه وقبلوها .

وقد كان نصف أرباح الوكالة من الاعلان ونصفها الآخر من فروق أسعار الدولارات التى ترد لها من أمريكا فتبيعها بسعر السوق عن طريق البنوك ، وقد انتهز انجليزى كان يعمل فى الوكالة هذه

الفرصة فانهى للشركة الأمريكية ان صاحبنا يحقق من هذه العملية لنفسه ربحا كبيرا واستفسرت الشركة من السفارة الأمريكية بالقاهرة عن متوسط الفرق بين السعر الرسمى وسعر السوق خلال السنة فوجدته أقل مما حققه صاحبنا فأرسلت لصاحبنا شكرا وللانجليزى أمرا بالنقل الى هونج كونج .

ولقد وضعت الوكالة تقليدا جديدا فلم تعد تتقيد فى الاعلان بترجمة الأصل الانجليزى وإنما تحافظ على معالمه الرئيسية مع سك عبارته باللغة العربية المتعارف عليها فى مصر فتقول :

« يا صلاة الزين على شاى الهند » .

وتضع شعارا للبان معروف هو « ابتسامتك سكر » بدل الشعار الأصلى وهو It's Fun ومع ذلك فقد قاست الوكالة من الوكالات الصحفية التى تفرض نفسها على المعلنين أو تجاملهم إذا بقوا معها فتعطيهم خصما على الاعلانات وتنشر لهم أخبارا إعلانية بل تعطيهم أجلا لدفع قيمة الاعلانات قد يصل الى اثنى عشر شهرا .

ولم تقاس الوكالة من هذا فحسب ، بل من حقيقة اخرى هى ان كثيرين من المعلنين يستردون جزءا من العمولة التى تتقاضاها الوكالة من الناشر ، بل ان من المعلنين من يعتمد على الوكالة فى تمويل حملاته الاعلانية فيؤجل الدفع إلى حين . والوكالة فى حيرتها بين الاستقطاع والتمويل مع المعلنين ، وبين المنافسة غير المشروعة مع الناشرين ، تلجأ فى بعض الاحايين للصحف فتحجز عن طريقها اعلانات التليفزيون وبذلك تستفيد من التمويل ، وبجزء من تزايد العمولة التى يمنحها التليفزيون كلما زاد رقم إعلانات الوكالة الصحفية .

وفى هذا الجو عاش صاحبنا حتى بلغ الخامسة والسبعين .

الفصل الحادى عشر
شخصيات عرفها

كان لابد لصاحبنا بحكم تنقله بين مختلف المنشآت ان يتصل بمئات من الشخصيات البارزة فى دنيا الادارة والاقتصاد والأعمال ، ولكنه اختار من بينها هؤلاء التسعة ، ولم يكن الاختيار تحليلا كاملا لأعمالهم إلا بمقدار ما يجيء عرضا فى سياق الحديث . .

إن من الناس من يستحق التقدير ، ولكن شخصيته أضعف من أن تفصح عن مزاياه ، ومنهم من يتبوأ مكانة لا يستحقها ، ولكن شخصيته تطغى على عيوبه .

تسعة منهم تركوا انطباعات حفرت وجودها فى نفسه فلم يعد ينساها ، منهم من انتقل الى رحمة الله ، ومنهم من يدعو له بطول البقاء . وفيما يلى تصوير بالقلم لانطباعاته عن كل منهم هى أقرب إلى التسجيل منها إلى التحليل .

عبد الجليل العمرى

بدأ تعارفهما فى سنة ١٩٢٥ حين كانا يترددان على مدرسة التجارة العليا بشارع الشيخ ريحان فى انتظار فتح فصل جديد للحاصلين على شهادة البكالوريا من القسم العلمى ، وكانت المدرسة قبل هذه السنة لا تقبل إلا خريجى القسم الادبى . فلما فتح الفصل الجديد جمعتهما الذكرى . .

ولما أنتهت السنة الأولى ، كان عبد الجليل متقدما فدخل الفصل الأول فى السنة الثانية . وكان صاحبنا متأخرا عنه فدخل الفصل الثانى . فلما دخلا امتحان الدبلوم كان ترتيبه الرابع وكان ترتيب صاحبنا السابع .

وسافر هو فى بعثة إلى انجلترا ، واشتغل صاحبنا بتدريس المحاسبة فى مدرسة التجارة بالظاهرة إلى ان أوفد فى بعثة إلى لندن فى سنة ١٩٣٧ لدراسة التسويق وكان هو موفدا فى بعثة ثانية لدراسة الاحصاء فتوطدت صداقتهما .

وتولى عبد الجليل منصبا كبيرا فى وزارة التموين ، وتولى صاحبنا إدارة جريدة المصرى فى نفس الوقت فكان يلجأ إليه كلما احتاج إلى ورق ، ثم أصبح عبد الجليل وكيلا لوزارة المالية ، فأراد صاحب المصرى ان يستفيد من هذه الصداقة بطلب تحويل ثلاثة آلاف جنيه استرلينى إلى لندن للعلاج ، ولكن عبد الجليل قال اننى

أعرف ان لدى محمود أبو الفتح فى الخارج أكثر مما يحتاج إليه ، وإذا كان لا يعرف إننى أعرف فإنى مستعد للقائه . . . . وانتهى الموضوع .

ثم جاءت الثورة وأقصت هنرى حاييم عن منصبه كعضو منتدب لشركة الاعلانات الشرقية . فطلب من صاحبنا كزميل ان يتوسط لدى عبد الجليل العمرى ـ وكان قد أصبح وزيرا للمالية ـ كى يسمح له بأخذ المصوغات الذهبية التى تملكها زوجته . وبحث عبد الجليل ما طلبه فوجده من حقه فأمر الجمارك « بتحريز » المصوغات وتسليمها له عند مغادرة البلاد . وهكذا كان عبد الجليل ، فقد رفض طلب صحفى مصرى لانه رأى انه ليس من حقه ، وقبل طلب رجل اجنبى مطرود لانه وجده على حق .

ولما أصبح محافظا للبنك الأهلى وكان الدكتور عبد المنعم القيسونى وزيرا للاقتصاد تم تأميم البنك دون علم المحافظ ، فلما قرأ الخبر فى صحف الصباح قدم استقالته على الفور وسافر الى وشنجطن ليعمل نائبا لرئيس البنك الدولى سنين طوالا لم تفته خلالها صلاة أو صيام .

وأخيرا نشر ذكرياته فى جريدة الأخبار فسرد تاريخه فى صدق دون ان يتحرى البلاغة فى الأسلوب . أو ينسب لنفسه ما ليس له ليبقى دائما عبد الجليل العمرى !

عبد اللطيف الشريف

عرفه صاحبنا منذ سنوات حين كان يجرى دراسة جدوى لبنك اسلامى تفكر فى انشائه إحدى شركات المقاولات بالاسكندرية . فاتصل بعبد اللطيف تليفونيا وسأله عن شركة توظيف الأموال التى يديرها ولم يتردد الرجل فى الاجابة على ما طلبه منه فى صدق وصراحة ، ولم تنشأ الظروف بعد ذلك ان يتعارفا أو يجتمعا فى عمل .

وبعد أعوام اتصل هو بصاحبنا فقال انه يريد دراسة سوق المنظفات لانه ينوى إقامة مصنع كبير لها فى مدينة ١٠ رمضان ودعاه إلى ان يتولى بحثا ميدانيا عن ذلك وترك له ان يدير البحث كما يشاء وان يستعين فيه بمن يريد ، ولعل تخرجه من كلية التجارة بجامعة عين شمس هو الذى أوحى له بهذه الدراسة العلمية .

واتفق صاحبنا مع مركز البحوث باتحاد الاذاعة والتليفزيون على ان يسمح لمندوبات المركز بزيارة المنازل فى القاهرة والاسكندرية والوجهيين البحرى والقبلى للحصول على إجابات الاسئلة التى حددها صاحبنا ثم جمعهن بالقاعة الكبرى لمركز الشريف بمصر الجديدة ليراجعن نتائج البحث مع المديرين والفنيين من رجال شركة المنظفات ، فلم يحضر عبد اللطيف الشريف هذا الاجتماع وان كان قد تابع المناقشات من على شاشة فى مكتبه .

وقد سأل أحد مديريه فى ذلك فقال انه ينتقى الخبير بعد ان يسأل عنه من يعرفه ، ثم يكرر السؤال مع غيره فى حديث عابر ويتقبل الرأى دون ان يعلق عليه حتى يكوّن اقتناعه ثم يختار أو يعدل .

وقد عرف فى العام الماضى ان صاحبنا ألف كتابا عن « حرفة الادارة » تمييزا لها عن المهنة فاشترى من الناشر ألف نسخة دفعة واحدة ووزعها بالمجان على العاملين معه .

وقد اتفق مع الدكتور سعد عشماوى عميد كلية التجارة بجامعة الأزهر على تنظيم دورات للعاملين فى مصانعه وشركاته ليطعموا خبراتهم بالعلم ، وكان ينتدب صاحبنا ليختتم كل ندوة بمحاضرة عن مشكلات التطبيق .

يعمل لدينه ودنياه فى آن واحد دون ان يطلق لحيته أو يتباهى بسيارة فارهة . وحين يتجه لدينه يدعو الشيخ الشعراوى الى صلاة جامعة مع جمهور من رجال الدين . وحين يتجه لدنياه يقيم المصانع والمتاجر والشركات ويساهم فى البنوك الاسلامية ، ثم ينتدب من مديريه من يصلح لعضوية مجالس الادارة ويبقى متفرغا للتخطيط .

وهكذا تعلم صاحبنا كثيرا عن حرفة الانتاج من هذا الشاب المسلم .

عبد المقصود أحمد

هذا الرجل العظيم قد انزوى فى بيته بسرياقوس على الطريق الزراعى إلى بورسعيد منذ وقع التأميم سنة ١٩٦١ ، فلم تعد الصحف تردد اسمه لأنه لم يعد مصدر للأخبار .

بل لم يعد موظفوا بنك مصر وشركاته يذكرونه وهو صاحب الفضل فى تنظيم هذه المؤسسات والنهضة بها من الناحيتين المالية والادارية . ان عبد المقصود أحمد ـ وهو الآن على مشارف التسعين ـ يعيش وحيدا بعد ان انتقلت قرينته الى رحمة الله منذ سنين ومعه ابنته التى سبق ان خطبها ضابط ، فلما فرضت الحراسة على أبيها أرسل له خطابا يستأذنه فى فسخ هذه الخطبة خوفا على منصبه ، وسارع عبد المقصود أحمد فباع بعض التحف التى كانت فى بيته ودق بيت الخطيب فى الصباح الباكر ليرد له قيمة الهدايا الصغيرة التى سبق ان قدمها لابنته بل ليدفع له ثمن دعوة أو دعوتين للعشاء كانت ابنته قد قبلتهما .

وكانت الثورة قد صادرت حديقة تحيط ببيت عبد المقصود أحمد .فخطر له يوما ان يتمشى فى طرقاتها وإذا الحارس يتقدم إليه طالبا منه الرجوع فإن التعليمات تمنعه من ذلك ، مع انه كان يريد الاطمئنان على عيادة مجانية سبق ان أقامها للعناية بالفقراء .

ولكن صاحبنا لاينساه ، فقد زاره فى مكتبه ببنك مصر فى سنة ١٩٥٤ وكان صاحبنا قد انتقل الى أخبار اليوم بعد ان اقفلت محكمة الثورة جريدة المصرى وطلب منه سلفة للمؤسسة قدرها ثلاثون ألف جنيه ، وكان مصطفى أمين وعلى أمين قد باعا بيتهما فى الروضة بناء على طلب صاحبنا ولم يبق لديهما إلا بعض المصوغات التى قدمها صاحبنا ضمانا للسلفة ، ولكن عبد المقصود أحمد تألم حين رأى المصوغات على مكتبه وقال لصاحبنا « ياسيد أنا مش مرابى ولكننى أطلب إليك ان تكتب لى دراسة جدوى عن سياستك التى تنوى انتهاجها فإذا اقتنعت بها صرفت لك السلفة » وقدم صاحبنا الدراسة وفتح حسابا بقيمة السلفة ثم قال لعبد المقصود أحمد : أرجو ياباشا أن أفى بوعدى فأرد لك السلفة فى موعدها فربت على كتفه قائلا : أؤكد لك ياسيد ان البنك إذا رفع دعوى على أخبار اليوم فسيخسر من سمعته أضعاف ما تخسره أخبار اليوم . وشاء الله ان يجيء موعد رد السلفة بعد ان اعتزل عبد المقصود أحمد عمله فى بنك مصر فذهب إليه صاحبنا فى سرياقوس واطلعه على المستندات ، فسعد كثيرا بها واحتضنه مقبلا ، ثم بقى صاحبنا على ولائه له فى المناسبات .

ولم ينس عبد المقصود أحمد هذه الزيارة فردها له فى مكتبه بدار المعارف بعد ان نقل من أخبار اليوم . مد الله فى حياته وأسعده بنفسه .

عثمان أحمد عثمان

ثالث ثلاثة عرفهم صاحبنا من رجال الأعمال . أولهم طلعت حرب وقد عمل تحت رياسته فى بنك مصر مدة قصيرة ، وثانيهم أحمد عبود باشا وقد تعامل معه فى دنيا الاعلان حين كان مديرا عاما لجريدة المصرى ولجرائد البورص والبورجريه والجازيت والميل فى شركة الاعلانات الشرقية .

والزعماء الثلاثة بدأوا فقراء : فقد كان طلعت حرب ناظرا فى تفتيش أحد الأمراء ، وباع أحمد عبود باشا خاتم زوجته لكى يشق طريقه ، أما المهندس عثمان أحمد عثمان فقد اشتغل وهو فى الثامنة صبى ميكانيكى بخمسة وعشرين قرشا فى الاسبوع ، ثم اشتهر فى الاسماعيلية بعم عثمان الطحان لانه شارك فى ماكينة طحين . فلما آثر العمل فى المقاولات اشتهر بلقب « المعلم » حتى أسس أكبر شركة للمقاولات فى الشرق الأوسط وهى « المقاولون العرب » وبنى السد العالى وغيره من المشروعات الكبرى فأصبح « رائد الوطنية الشعبية » .

ولكن عثمان ظل ابن بلد بعد تخرجه فى كلية الهندسة وبعد ان أصبح نقيب المهندسين ووزير الاسكان ورائد التعمير والأمن الغذائى . لقد ظل عثمان منذ واجه الحرمان والفقر إلى أن أصبح يقيم الشركات والبنوك والعمائر والفنادق والطرق والكبارى والأراضى الزراعية . متمسكا بجميع اقربائه وأصهاره وزملائه

القدامى فلم يفرط فى واحد منهم بعد ان أحاطت به الانوار من كل جانب . وظل على صلته بالأخوان المسلمين ومدينة الاسماعيلية وبالنوادى الرياضية ومركز العلاج بمدينة نصر ، وأخيرا اختار لنفسه بيتا صغيرا فى حديقة واسعة بمكان هادىء هو الحرانية بعيدا عما شيده فى المعادى ومصر الجديدة وجاردن سيتى والاسماعيلية .

ولعل نجاحه فى مقاولاته كرجل علاقات عامة لايقل عن نجاحه كمهندس . فالعلاقات العامة هى التى تفسر توفيقه فى كل الأعمال التى تولاها هندسية كانت أو مالية أو زراعية ، ولقد ألقى صاحبنا منذ أكثر من ثلاثين سنة محاضرة فى نادى التجارة بشارع رمسيس كان موضوعها « الى النصر فى معركة التصدير » فإذا المحاضر يجد عثمان أحمد عثمان بين المستمعين وسلم عليه قائلا « كيف جئت وتركت أعمالك الكبرى » ؟ فضحك قائلا : ان هذه الأعمال لاتشغلنى عن ان استفيد من كل جديد .

ولقد قص على أحد كبار المديرين انه استقال من شركة المقاولون العرب ليعمل لحساب نفسه ، فلما أممت الثورة ممتلكاته فيما بعد وسمع عثمان بما حدث له جاء الى منزله فى الصباح الباكر وقال له « أنا أود ان أودع عندك هذا المبلغ الصغير حتى احتاج الى استرداده » وكان الملبغ خمسة آلاف جنيه (بأسعار أوائل الستينات) فلما تأبى محدثى قال له عثمان : افرض يا فلان اننى أريد ان أعطيك هذا المبلغ . الست فى مكانة ابنى ؟ .

هذا هو عثمان أحمد عثمان ، من غير زيادة أو نقصان .

على الجريتلى (فى ذمة الله)

اسكندرانى النشأة والنزعة ، شديد الاعتداد بنفسه وعلمه ، قليل الاكتراث بالمناصب والأموال ، ولذلك مات فقيرا لا يملك إلا بيته الذى كان يسكنه فى المعادى .

عرفه صاحبنا فى جامعة الاسكندرية وكان مدرسا للاقتصاد مع الاستاذ محيى الدين عابدين ، وكان صاحبنا مدرسا لادارة الأعمال .

وكان العميد زكى حسن استاذ المحاسبة ولكننا اذا اختلفنا فى أمر يدخل فى اختصاص أى من هذه الأقسام على السواء أنتظرنا حتى يحضر على الجريتلى لنحتكم إليه .

وقد ألف صاحبنا فى أوائل الأربعينات كتابا فى دارسة السوق فقدم أصوله إلى على الجريتلى ورجاه أن ينقده ، فعاد إليه بعد يومين اثنين ليقول انه فرغ من قراءته ووجده بالغ السوء ! سأله عن السبب فوجده قد أعد تقريرا كاملا عن الكتاب اعطاه له فاهتدى به فى كتابه الكتاب من جديد بعد ان وجده على حق .

وكان صاحبنا فى هذه الأيام يعمل خبيرا لجريدة المصرى ويتقاضى منها خمسة وسبعين جنيها فى كل شهر ، فتمكن بذلك من ان يلبس بدلة « شاركسكن » وكان على الجريتلى يسخر منه فيقول « كل ده من بيع الدشت » ؟

وقد كان أعضاء هيئة التدريس فى آخر العام يعملون معا طوال النهار وطرفا من الليل فى تصحيح أوراق الامتحان ، فلما جاء يوم الجمعة اقترح استاذهم زكى حسن ان يحضروا فى الصباح

إلى الكلية لينتهوا من رصد الدرجات ، فاعترض على الجريتلى وأصر على ان يلزم بيته فى أجازة الاسبوع . قال زكى حسن مستنكرا وماذا تعمل طوال النهار؟ فرد على الجريتلى أنام وأرفع رجلى دون ان أخاف ان تقع على أحد . أخلع ملابسى وأنام على بطنى فى الحمام آكل منجة . أريد . . فأستوقفه زكى حسن وقال « كفى . . كفى . . فهمت . .

ولما أصبح رئيسا لبنك الاسكندرية بعد الثورة طلب منه أحد رجالها سلفة لمجلة يصدرها ومع الطلب تزكية من كمال الدين حسين الذى كان رئيسا للاتحاد الاشتراكى ، وحدد له على الجريتلى موعدا للمقابلة ولكن رجل الثورة لم يحضر بل أرسل مدير مكتبه ومعه بطاقة منه ، فلما رأى البطاقة « اشر بردها لصاحبها مع تأنيث اسمه !

ولما كلف الرئيس أنور السادات مركز آراك ببحث رسوم المرور فى قناة السويس اتصل صاحبنا به وطلب منه ان يشترك فى الدراسة فقال : الاجابة لا . فأنا أعرف انك كرجل اعلان تبحث عن الجهلاء ذوى الكروش لتفاخر بهم عند تقديم التقرير ، وعلق صاحبنا على ذلك قائلا : « ياخسارتك ياعلى » وماذا تقول إذا كان عبد الجليل العمرى هو أحد أعضاء اللجنة؟ فقال : « مادام الاسطى الكبير قد قبل فلامانع عندى من ان أعمل معه من الباطن » .

وكان مستشارا لمجلس إدارة البنك الافريقى العربى فاختلف مع رئيس المجلس ابراهيم الابراهيمى واشتد الخلاف بينهما فقال على الجريتلى : أنا مختلف معك ولكنك تمتاز عنى بثرائك العريض فلا فائدة من المناقشة » وكانت هذه هى استقالته من المجلس .

ثم أصبح عضوا فى أحد المجالس العلمية مع صاحبنا ولكنه

حضر جلسة واحدة ثم تغيب . . فلما سأله صاحبنا عن ذلك قال :
« أصلى ما بحبش السيرك » .
هذا هو على الجريتلى العالم الساخر .

على عبد الله الجمـــال

لبنانى الجنسية شيعى العقيدة . رجل أعمال حاد الذكاء ولكنه مدير يحتاج إلى الاستزادة من معلوماته فى الإدارة . بدأ أعماله فى نيجيريا فانشأ « منجرة » أى ورشة للنجارة كون منها ثروة طائلة وتعرف فيها بأولى زوجاته ، ثم عاد إلى بيروت فانشأ بنك « جمال ترست » ومن لبنان جاء إلى مصر حين وجد أنور السادات قد نادى بسياسة الانفتاح .

وسعى سعيا حثيثا حتى صرح له البنك المركزى بإنشاء فروع لبنكه فى القاهرة والاسكندرية . ثم سعى سعيا حثيثا حتى أسس بالاشتراك مع المقاولون العرب شركة تملك فندق رمادا على الطريق الصحراوى الى الاسكندرية ، وأسس بالاشتراك مع ايجوث ـ وهى من شركات القطاع العام ـ شركتين إحداهما لاقامة المصايف فى الساحل الشمالى إلى مرسى مطروح والأخرى لاقامة فندق كبير على الأرض التى كانت تشغلها فيلا هدى شعراوى بميدان التحرير ، وأسس مع زوجته المصرية وابنائه منها شركة تملك عمارة فى جاردن سيتى . وهكذا أصبح فى وقت قصير مسيطرا على أربع شركات مساهمة وعلى فروع أربعة لبنكه .

وبعد سنوات قليلة هاجمه ابراهيم سعده فى أخبار اليوم واكتشف جهاز المدعى الاشتراكى ان فروعه تتلاعب بالشيكات فى السوق السوداء ففرض عليه الاقامة الجبرية فى منزله ثم قدمه لمحكمة القيم .

وأشار عليه زهير عسيران ـ وكان منذ سنوات مراسلا لجريدة المصرى فى بيروت ـ ان يستشير صاحبنا فى قضاياه ، فجمعه بمحام مارونى وآخر مصرى ممن عهد لهم أمر الدفاع عنه . وكان من رأى المحامين ان هناك تواطأ بين موظف فى جمال ترست والمشرفين على بنك الأهرام ، ومن شأن هذا التواطؤ ان يدفع التهمة عن على الجمال . ولكن صاحبنا خالفهم فى هذا وقال ان موظف جمال ترست تابع لعلى الجمال صاحب البنك فهو مسئول عنه على كل حال . وهنا وجه على الجمال كلامه لصاحبنا مستنكرا هذا الرأى « يا سيدى المحامون يرون اننى غير مسئول عن الدفع وانت تطلب منى أكثر من عشرين مليون دولار . وهم محامون وانت لست محاميا . أسمع كلام مين » قال صاحبنا ـ « تسمع كلامهم طبعا » وانصرف فلم يلتق به إلا بعد ستة أشهر جاءه بعدها زهير عسيران فى نادى الجزيرة ليقول ان على الجمال اقتنع الآن بأنك كنت على حق ، وهو يطلب منك ان تكون مستشاره الفنى » فقبل صاحبنا .

وتم بين صاحبنا وبينه تعاقد على ان يكون مستشارا بالرأى لا بالقرار ، ثم ذهب بالعقد إلى إدارة الأمن العام فى اليوم التالى فسجله طبقا للقانون وقدم نسخة منه لجهاز المدعى الاشتراكى .

ووجد صاحبنا ان لعلى الجمال محاميين لبنانيين تقاضيا ٣٥٠٠٠٠ دولار وان له أربعة محامين مصريين تقاضوا نحو مائة ألف جنيه ، ومكتبا أجنبيا فى القاهرة يشتغل بالمحاماه تقاضى مائة الف

جنيه ، ومعنى ذلك ان على الجمال انفق فى الدفاع عن نفسه نحو مليون جنيه .

وبعد نضال فى ساحة المحاكم ادرك ان جو الأعمال فى مصر لم يعد يناسبه فعرض ممتلكاته للبيع . وأخيرا حكم عليه ابتدائيا فى جنحة بالسجن سنة مع الشغل فاستأنف الحكم ووكل عنه ثلاثة من كبار المحامين المصريين وهو الآن ينتظر الاستئناف . .

ما أتعس رجال المال إذا أصبحوا فى خدمته ! إن المال يعصرهم عصرا بدل أن يهيىء لهم راحة البال .

محمد الحارونى (فى ذمة الله)

زميل الصبا والشيخوخة كان يسبق صاحبنا فى الترتيب دائما حين كانا طالبين فى مدرسة التجارة العليا إلا فى سنة الدبلوم - فقد كان ترتيبه الثامن وكان ترتيب صاحبنا السابع . وفرح صاحبنا بترتيبه وبرم الحارونى بترتيبه ولكنهما عملا معا مدرسين فى مدرسة التجارة المتوسطة بالظاهر . هو للمحاسبة وصاحبنا لادارة الأعمال . وكانت تسمى المكتب العربى - وللرياضة المالية - وكانت تسمى الحساب التجارى - وكانا أصغر المدرسين حتى ان زميلا كبيرا قال عنهما انهما يحضران للمدرسة على مشاية !

ثم سافرا معا إلى لندن فواصل هو دارسة المحاسبة ، واشتغل صاحبنا بالاعلان والتسويق ، وعادا قبل الحرب العالمية بأسبوع واحد .

لا يذكر صاحبنا انه تولى عملا ونجح فيه إلا كان لمحمد الحارونى فضل فى هذا النجاح . ثم عانى من مرض القلب وهو عميد كلية التجارة بجامعة القاهرة حتى فارق الحياة .

كان كحفنى محمود كثير المزاح والمقالب . فلما أراد سامى فرج الله وهو لبنانى كان يتولى توزيع الصحف المصرية فى العالم العربى ان يستعين بمحمد الحارونى كمحاسب وأخذ يسرد عليه تفاصيل ما يريده ان يقوم به قاطعه قائلا : فهمت يعنى كل حاجة ما عدا علاقتك بزوجتك » .

ولما تعرف بمحمود أبو الفتح لأول مرة قال له أبو الفتح « أنا سمعت كثيرا عن علمك وفضلك » فعلق الحارونى قائلا : « تعرف إن صوتك حلو ! تنفع مذيع »

وكنا نجلس يوما فى بيتى فدخلت علينا زوجة صديق وكانت ممتلئة فما أن رآها الحارونى داخلة حتى التفت إلى صاحبنا متسائلا « يا أخى ولا تخينة ولا حاجة . أمال بتقول تخينة ليه ؟ ولم نكن قد تحدثنا فى شىء من هذا على الاطلاق ، ولكن الحارونى كان سريع البديهة لا تفوته الفرصة للايقاع بمن اقترب من شباكه . ولم تشك السيدة فى ان صاحبنا قد تحدث عن بدانتها فساءت علاقتهما بعض الوقت .

ودعا يوما عروسين فى منزله للافطار فى رمضان وجلست العروس بجانبه فسألها عن حماتها ، قالت بخير قال : « ألا تزال غير موافقة على زواجك ؟ وتصادف ان كان هناك سوء تفاهم بينها وبين حماتها فغضبت من زوجها ولامت أمه لانها تشنع عليها حتى خارج البيت وكادت تطلب الطلاق لولا ان أقسم الحارونى انه كان يمزح .

ونقل بعد ذلك لمدرسة التجارة بالمنصورة وكان له زميل على خلاف مع زوجته ، فنشر الحارونى بين بقية الزملاء ان الزوجة تركت بيتها الى بيت أبيها . وقال ان من الواجب ان يدعو كل منهم الزوج للغداء فى منزله يوما فوافقوا جميعا وأصبح الزوج كل يوم فى بيت وهو لايدرى سببا لهذا الكرم الحاتمى الذى نزل عليهم فجأة .

وبعد أيام كان المدرسون يجتمعون فى المساء فى مقهى بحرى على أحد النواصى فشاهدوا الزوج مع زوجته عائدين إلى منزلهما فأيقنا أن الصلح قد تم وتوقفت الدعوات ولكنهم طالبوا الزوج بردها مادام قد صالح زوجته وانكشفت خطة الحارونى .

وكان صاحبنا معه عضوان فى مجلس محلى رأس البر وقال المحافظ محمود طلعت ان تجار الموبيليا يشكون من عدم توافر الاخشاب اللازمة ، وبدأ المجلس ببحث الشكوى لولا ان الحارونى تدخل قائلا « هذه شكوى كيدية فأنا أعرف ان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر زوّجا بناتهما فلم يجدا صعوبة فى تدبير الخشب » !

محمد عبد القادر حاتم

عرف صاحبنا الدكتور محمد عبد القادر حاتم حين كان مديرا عاما لمؤسسة أخبار اليوم وتولى هو وزارة الإرشاد القومى فأدخل التليفزيون وانشأ عمارته الجبارة على ضفاف النيل واشترى الآلات واختار الاخصائيين وكان فى نفس الوقت ممثلا للاتحاد الاشتراكى العربى فى الاشراف على الصحافة واعتماد ميزانياتها والبت فى الشكاوى التى تنشأ فيها بين العاملين وأصحاب رأس المال .

كان هو المسئول عن الاعلام بعد الثورة ، فلما حدث الخلاف بين صاحبنا والعاملين فى أخبار اليوم بسبب توزيع الأرباح ذهب لمقابلته فوجد فى مكتبه عددا كبيرا من العمال الصاخبين يهتفون « يسقط أبو النجا السفاح » . « الرأسمالية تطل برأسها فى عهد الاشتراكية » . . الخ وبذل الدكتور حاتم جهده الكبير لحل الخلاف ولكن العمال ـ وعلى رأسهم كبيرهم محمد الاهبل ـ لم ينصاعوا لرأيه ، فلم يجد صاحبنا بدا من ترك أخبار اليوم إلى الأهرام .

ولكن ما أعجب صاحبنا فى شخصيته انه كثير الانصات قليل الارسال ، كما انه ليس مغرما بتطبيق اللوائح والقوانين قدر حرصه على ايجاد الحلول ، فإذا اطل حل منها أثناء المناقشات أمسك بقلمه على الفور ووضعه على الورق وليزيده بحثا فيما بعد .

ومن ذلك انه فى أول يوم فى عمله كوزير وجد اكداسا من الملفات على مكتبه مملوءة بشكاوى الحائزين على اجهزة الراديو من التعسف فى تحصيل قيمة الرخصة وهى مائة وعشرون قرشا سنويا . وقد تبين له ان المفتشين وكان لهم حق الضبطية القضائية يذهبون فى الصباح وقد انصرف أرباب الاسر إلى أعمالهم فيدخلون على الناس بيوتهم وتحدث مشاجرات كثيرة ، ووجد اثنتى عشرة ألف قضية مرفوعة من الاذاعة على أصحاب الأجهزة لعدم سداد القيمة .

وعلى الفور خطر له الحل التالى :

١ ـ وقف هذه القضايا التى تشغل المحاكم والمواطنين .

٢ ـ الغاء رخصة الراديو وفرض ملليمين بدلها على كل كيلو يزيد على ٣٠ كيلووات من الاستخدام المنزلى .

٣ ـ فرض رسم قدره خمسة مليمات على كل بطارية جافة .

وهكذا وصلت الحصيلة فى أول سنة إلى سبعمائة ألف جنيه وزدادت مع الأيام ووصلت فى العام الماضى إلى خمسة ملايين جنيه .

ولما تولى رياسة المجالس القومية المتخصصة تميز بالانصات لجميع الاراء المتضاربة على السواء حتى ان أحد الاعضاء تحدث يوما بما قد يفسر على انه عتب على القضاء فلم يقاطعه الدكتور حاتم وانما تركه يكمل كلامه حتى انتهى منه ، فانطلق حاتم يشيد بقدسية القضاء ويحلل كلام العضو بما يثبت بطلانه ، فلم يجد بدا من أن ينصرف ، وكانت هذه آخر جلسة يحضرها .

ان الدكتور حاتم من رجال الثورة الذين لم يعرفوا الانفعال ولا الافتعال ، ولذلك بقى موضع الاحترام فى عهد عبد الناصر وعهد السادات وعهد مبارك على السواء

مصطفى خليـــل

أنيق المظهر والمسكن ، يتوخى التكامل بين البدلة والحذاء وربطة العنق ، وكذلك الصالون وغرفة الطعام وأثاث الشرفة التى تطل على النيل الأعظم . لم يشاهده صاحبنا يوما فى بدلة إلا تصور انها خرجت على التو من عند الكواء ، وإذا أخرج من جيبه قلما ليكتب أو منديلا ليمسح وجهه إلا وجده من نوع متميز زامله صاحبنا فى أربعة مواقع :

— فى دراسة رسوم المرور فى قناة السويس .

وفى مفاوضات المصرف العربى الدولى مع شركة إيطالية للطباعة فى ميلانو .

— وفى عضوية المجلس القومى للانتاج .

وأخيرا فى ندوة تليفزيونية .

أما فى دارسة الرسوم فقد كتب عنها صاحبنا من قبل ، ولكنه لم يكتب عما قدمه الدكتور مصطفى فيها من مادة وأرقام ونسب ، فقد كان ـ يحق ـ مهندس الفريق الباحث . يحصى حجم السفن وعمولتها وغاطسها وتكاليفها . . إلخ وقد ساق الأرقام فى دقة المحاسب ، وطوعها فى مهارة السياسى ليخرج من كل ذلك بما يحقق الهدف من الدراسة .

وكان مهندسا فى كل شىء . . فى الحضور والانصراف ، فى تقديم المعلومة حين يحتاج اليها الحوار ، وفى التعقيب بالصوت الهادىء بعد التأكد من ان المتحدث قد انتهى من كلامه ، ثم

اشترك مع الزملاء فى صياغة التوصيات ، فكان صائغا فى اختيار الكلمات .

أما فى المفاوضات مع الشركة الايطالية فقد كان دبلوماسيا رقيق اللفظ عند الاختلاف ، بعيد النظر فى التوفيق بين الاتجاهات .

وأما فى مجلس الانتاج فقد كان يحب الاصغاء قبل الارسال ، فإذا قاطعه أحد الاعضاء سكت على الفور ثم استأنف حديثه باحتجاج مغطى فقال : بس أنا لسه ما خلسطش كلامى »

وفى الندوة التليفزيونية كان معنا أحمد فؤاد رئيس بنك قناة السويس وكان سعيد سنبل رئيس تحرير جريدة الأخبار الآن قد دعانا نحن الثلاثة لمناقشة موضوع اقتصادى هام . فتحدث فيه الدكتور مصطفى خليل كما لو كان يتحدث فى الهندسة .

والدكتور مصطفى يحب أن يأخذ معلوماته من مصدرين لا علاقة بينهما ليتأكد من صدقها قبل أن يبدى رأيه . ومن ذلك ان الاستاذ ممدوح رضا رئيس دار التعاون كان قد اتهم يوما بالتساهل فى شراء ثلاث آلات طباعة للدار فدفع فى كل منها أكثر مما دفعه صاحبنا فى واحدة للأهرام ، فعهد مصطفى خليل ـ وكان أمينا عاما للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى التى تتبعها دار التعاون ـ لأحد الزملاء ببحث الأمر . وقدم الزميل تقريره بالادانة . ولكن الدكتور مصطفى عهد بعد ذلك الى صاحبنا ببحث الأمر من جديد دون ان يخبره بأنه سبق بحثه ، فوجد ان ممدوح رضا اشترى بالتقسيط ، على حين فتح الأهرام اعتمادا بالثمن لارجوع فيه . وخلص صاحبنا إلى ان اختلاف الظروف يدعو إلى التردد فى الادانة . فقرر الدكتور مصطفى خليل حفظ التحقيق .

هكذا عرفت لماذا نجح فى المناصب التى تقلدها من وزير للنقل الى وزير لاتحاد الاذاعة والتليفزيون إلى رئيس للوزراء إلى نائب لرئيس الحزب الوطنى للشئون الخارجية ورئيس لمجلس ادارة المصرف العربى الدولى .

الفصل الثانى عشر

ثلاث سكرتيرات

النساء مصابيح البيوت والمكاتب . يشعن فيها جوا من المحبة والاستبشار . والسكرتيرات منهن يستقبلن الزائر بالبسمة والكلمة الطيبة فتكونان الفاتحة فى عقد الصفقات .

لقد كان صاحبنا يعطى مديرة مكتبه سلطة التصرف فى الأعمال التى تكرر نفسها ويطلق عليها كلمة الروتين . وبذلك يتفرغ لمواجهة المواقف المتغيرة التى تحتاج لقرارات نوعية .

وكان يعامل سكرتيرته كما يعامل ابنته فلا يقسو عليها إذا اخطأت وانما يأخذ بيدها لتصحح خطأها ويقدر ظروفها المنزلية اذا اشتكت منها ، وكان يحترم تحفظها فى الاختلاط فلا يثقل عليها بالبقاء بعد ساعات العمل ، ولا يكلفها بما يدخل فى اختصاص الرجال ، ولكنه كان يعهد أحيانا لمديرة المكتب بشئون العلاقات العامة ، فإذا علم أن خلافا نشأ بين زميل وزوجته رجاها أن تزور الزوجة لتتحدث إليها ويسمح لنفسه ان يتحدث الى الزوج ، وهكذا كان صديقا للعاملين جميعا قبل ان يكون رئيسا . وهذه الصداقة كانت العامل الأول فى نجاحه كلما أصاب شيئا من النجاح .

وليس ينسى فى ذلك فضل زوجته عليه ، فقد كانت أما لسكرتيراته تحسن استقبالهن فى بيتها بين وقت وآخر ، وتتحدث

إليهن تليفونيا إذا احتاجت الى شىء ضنا بوقته إذا صرفته عن عمله ثم تسأل عنهن كلما جاءت مناسبة .

ان أكبر خطأ يقع فيه المدير هو ان يعتبر سكرتيرته « تشريفاتيه » تتحلى وتتجمل لتستقبل وتودع ، بدل ان يعتبرها أقرب الناس إلى مشاكله . فعليه ان يوليها من ثقته واحترامه ما يوجب عليها ان تردها له بالتنظيم والاخلاص فى العمل .

ومن بين مديرات مكتبه ثلاث لا ينسى فضلهن ، ولذلك يخصهن هنا بالذكر .

آمــال وهبــة

حين ترك صاحبنا جريدة المصرى إلى أخبار اليوم فى سنة ١٩٥٤ وجد أخبارها فى حاجة إلى كتمان ، لأن شئونها المالية كانت من الدقة بحيث تحتاج إلى معالجة خاصة تفسد إذا تسربت معالمها من مكتب المدير العام .

وتطلع الى سكرتيرة تتفق شخصيتها مع هذه الظروف فوجد فتاة ناشئة تخرجت لتوها من مدرسة التجارة ، وهى تحسن الكتابة العربية على الآلة الكاتبة ، وتتميز بصفتين رئيسيتين هما الاستقامة والكتمان ، فتقلها على الفور إلى مكتبه .

وبعد قليل عرف من ظروفها العائلية ان والدها مريض ، وانها فى حاجة إلى رعاية الأب ، فلما تقدم لخطبتها محرر بالدار يكبرها كثيرا ، جاءت متطوعة تطلب رأى صاحبنا فى هذا المحرر ، واستشار بدوره زميله الاستاذ صليب بطرس فاتفقا ان ينصحاها بالانصراف عنه .

ثم تقدم لها شاب من المراسلين فمال صاحبنا مع صليب لقبوله ولكنه كان متعجلا فى عقد الصفقة التى فكر فيها ، فاقترح عليها ان تطلب من صاحبنا الموافقة على فتح مكتب له فى المحافظة التى يعمل فيها ، وجاءت آمال باسمة ومتشائمة فى نفس الوقت تقول : يظهر انه كان يريد مصاهرة المدير العام وهذه هى غايته ، فاتفقا على ان تعتذر له .

وأخيرا تقدم لها شاب محاسب كان مرتبه أقل من مرتبها ولكن فيه من الصفات ما يستحق التقدير فنصحها بقبوله ، ورأت هى حينذاك أن توطد مستقبلها معه فجاءت الى صاحبنا ـ وكان يعد العلاوات الدورية ـ تقترح ان تتنازل عن علاوتها لخطيبها فتكون مع علاوته

إضافة لمرتبه ترفعه عن مرتبها . ورأى فى هذا تساميا عقلانيا قدره فأعطى الخطيب مجموع العلاوتين ولم يحرم آمال من علاوتها .

ثم جاء موعد كتابة العقد وكان والدها على ضفاف الموت فاختارت آمال صاحبنا ليكون وكيلها . وبعد سنوات عاد صاحبنا مشرفا عاما على أخبار اليوم وكان طبيعيا ان يختار آمال وهبة من جديد مديرة لمكتبه فقدمت له ابنها وقد بلغ عشر سنين قائلة له « هذا عمك الذى وقع قسيمة زواجى من أبيك . . »

فكانت هذه الجملة خير تحية .

ومما يذكر بالخير لآمال وهبة ان عمال أخبار اليوم أحاطوا به يوما فى ناديها وأصروا على ان يدفع لهم بعد نصيبهم فى الأرباح دفعة اضافية قدرها خمسون ألف جنيه ، فقال لهم انه اعطاهم كل ما ينص عليه القانون فلماذا يطالبون بماليس من حقهم ؟

وقال قائلهم ان للدار رصيدا كبيرا فى البنوك . قال انه لشراء مطبعة جديدة ضرورية فقال « ان آلة الطباعة تستورد بالعملة الأجنبية وهذا الرصيد بالعملة المصرية . وهكذا عز التفاهم فأعلن صاحبنا انه يقدم استقالته لينزل غيره عند ارادتهم . وقام موسى صبرى فأحاط صاحبنا بتقديره واقترح ان يرجع فى استقالته مقابل ان يتنازل العاملون عن مطلبهم ، ولكن العمال ثاروا واوشكوا على الاعتداء على موسى صبرى وعلى صاحبنا .

فلما علمت آمال وهبة ان الأمر قد وصل إلى هذا الحد ـ وكانت تتابع النقاش ـ طلبت شرطة النجدة على الفور ووقف نحو عشرين شرطيا يحرسون صاحبنا حتى غادر الاجتماع .

وبعد ان أصبح موسى رئيسا لمجلس الادارة وأصبح صاحبنا مستشارا للدار أخبره بأنه فى حاجة إلى مديرة مكتب فزكى له آمال ، وكانت عند حسن ظنه فهى لا تزال موضع تقدير رئيسها .

كريمة حافظ

كأنما خلقت لتكون مديرة مكتب . جاءت إلى صاحبنا يوما فى دار المعارف فذكرت انها ابنة استاذه عبد الرحمن حافظ وانها ليست فى حاجة إلى مال ولكنها تريد أن تنفق وقتها فيما ينفع بعد ان كبرت ابنتها الوحيدة وتفرغت للمدرسة فأصبح عندها فراغ تريد أن تملأه .

وعرض عليها أن تبيع دائرة المعارف البريطانية ـ وكانت دار المعارف وكيلة عنها فى مصر ـ فترددت كثيرا فى قبول هذا العرض . كانت تفضل عليه عملا مكتبيا ليس من شأنه ان تتصل بالناس خارج الدار ولكنه خالفها فى هذا وقال لها « إذا كنت متخرجه من الجامعة الأمريكية وتفكرين على هذا النحو فلا جدوى إذن من المطالبة بمساواة المرأة للرجل » وقبلت نصحه وأصبحت مندوبة لبيع دائرة المعارف .

وبحكم عملها قبلت ان تتردد على مكاتب المهتمين بشراء الدائرة ولكنها فوجئت يوما برجل عجوز يطلبها تليفونيا ويرجو ان تحضر الى مسكنه فى المعادى ومعها مجموعة من دائرة المعارف فاجفلت وسألت صاحبنا كيف تتصرف . قال لها خذى معك منصورا السائق ـ وكان قوى البنية ـ ودعيه يحمل لك المجموعة ويدخل معك الڤيلا فإذا استرحت للجو فاصرفيه ، وفعلت ذلك ، فإذا بها تجد نفسها أمام الاستاذ أحمد عبد الرزاق السنهورى رئيس مجلس الدولة السابق وكان يجلس الى المائدة وأمامه طبق من الرطب . فسلمته المجموعة وتسلمت شيكا بالقيمة ، ولكن صاحبنا

لم يكتف بهذا بل سألها « هل دعاك إلى تناول شيء من البلح ؟ قالت : نعم قال لها وهل لبيت الدعوة ؟ فقالت الحق اننى هممت بالاعتذار ولكننى خفت منك فأخذت بلحة وهنأها على هذه الخطوة الجريئة .

ثم اتسع العمل فى مكتب صاحبنا بعد اتساعه فى الدار كلها ، فدعا كريمة إلى أن تكون مديرة المكتب ، وكانت أكفأ مديرة عرفها حتى الآن . لقد أصبحت موضع احترام العاملين والمؤلفين والمتعاملين جميعا ، واتسمت برجاحة العقل وسعة الافق حتى لقد تنازل صاحبنا عن كثير من اختصاصاته اليومية لتخفف عنه فلم يلاحظ عليها يوما تطرفا فى تصرف ، أو انفعالا فى تعامل .

وسافر صاحبنا يوما على طائرة خاصة إلى ميلانو مع الدكتور مصطفى خليل للعمل وكان مع كل منهما سكرتيرته . فكانت تصرفات كريمة حافظ مثالا عاليا للسيدة المصرية حتى لقد قال الدكتور مصطفى خليل ضاحكا اذا كان المتفاوضون يفاخرون بما عندهم من طيارات خاصة فإن عندنا كريمة »

ثم انتقل صاحبنا إلى الأهرام فانتقلت معه كريمة ، ولما استقال خلفه بعض الوقت الدكتورعبد العزيز حجازى - وكان يعرفها ، لأن والدها كان استاذه فى كلية التجارة - فطلب اليها ان تجلس إلى كتبه - وكان مكتبا لصاحبنا - لتكون على اتصال به تليفونيا ولكنها اعتذرت وفاء منها واقترحت ان تتلقى التليفونات فى مكتبها .

وأخيرا تركت عملها هى الأخرى فى الأهرام وأصبحت وكيلة لشركة كولير ماكميلان الأمريكية فى العالم العربى .

انجـى شـماس

سيدة يونانية كانت فى الأربعين من عمرها تجيد الفرنسية والانجليزية والعربية الى جانب اليونانية وتجيد ادارة المكاتب ومقابلة الناس وقيادة السيارات والكتابة على الآلة الكاتبة . وكانت الى كل ذلك زوجة وأما .

جاءت إلى صاحبنا تطلب عملا بعد ان ترك الأهرام وأصبح مديرا عاما لشركة AMA للاعلان ، فتحدث معها كما يفعل مع كل متقدم جديد وأعطاها عقدا لثلاثة أشهر تحت الاختبار فإذا هى أكفأ بكثير مما قالت . وكانت تمارس حياتها فى انطلاق لا تعرفه المصريات لانه انطلاق الرجلات .

كانت شركة أفريدى للبطاريات الجافة من عملاء الشركة وقد انشأت مصنعا فى العامرية بقرب الاسكندرية وأعلنت عن افتتاحه . ورأت شركة الاعلان ان تقيم أمام المصنع لوحة إعلانية كبيرة تستقبل مديرى الشركة الأمريكيين حين يحضرون إلى حفلة الافتتاح ، ولكن الهواء اشتد قبل يومين فاقتلع اللوحة من مكانها وألقى بها فى عرض الطريق الصحراوى بما عليها من رسوم وأضواء .

وطلب صاحبنا رئيس الملصقات ليستشيره فيما يعمل فاعتذر بعجزه أمام فعل السماء ولكن إنجى تقدمت متطوعة وقالت لصاحبنا « تستطيع ان تعتمد على » وأخذت سيارتها وسافرت إلى مكتب شركة الاعلانات المصرية بالاسكندرية وهو الذى كان قد أقام اللوحة وكان مديره من تلاميذ صاحبنا فى كلية التجارة .

قالت له عن صاحبنا انه يرجوه ان يبذل جهدا استثنائيا لاقامة للوحة ، فجند على الفور خمسة عشر عاملا فى سيارة نقل إلى العامرية وتم كل شىء فى اليوم التالى ثم استقلت انجى سيارتها بعد

الظهر عائدة إلى القاهرة وإذا السيارة تتعطل بعد وصولها إلى طنطا . ذهبت الى الميكانيكى الوحيد هناك فوجدته على خلاف مع مصلحة الضرائب التى أقفلت محله ، ولكن انجى لم تقف عاجزة أمام هذه الصعوبة بل رجته ان يصلح السيارة تحت فانوس فى أحد الميادين ، وانصاع الرجل ، ووجد قطعة لابد من تغييرها وهى ليست موجودة فى طنطا .

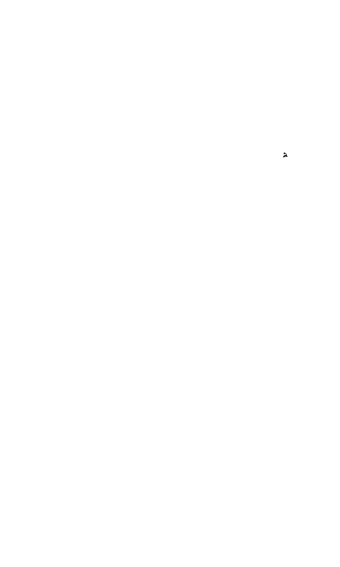
ولم تقف انجى مرة اخرى عاجزة أمام هذه الصعوبة فاستقلت القطار الى القاهرة لتوقظ بائعا لقطع الغيار فى المعادى وتطلب إليه ان يفتح محله ليبيعها هذه القطعة ، ثم ركبت القطار عائدة إلى طنطا حيث وصلتها فى الظلام .

وصونا لنفسها حجزت غرفة فى فندق متواضع الى جوار السيد البدوى واقفلت على نفسها باب غرفتها وجعلت تقرأ فى كتاب معها حتى جاء الصبح فنزلت الى الشارع وتسلمت سيارتها من الميكانيكى لتعود بها إلى القاهرة .

ثم لبست خير ما عندها من ثياب لتستقبل الزائرين الأمريكيين وتقدم لهم المشروبات والحلوى وتشترك فى توديعهم الى العامرية . لقد طلب صاحبنا منها فاتورة الاصلاح ومنحها مكافأة سخية مع خطاب شكر يطاول هذا الكفاح .

كانت انجى تعتبر نفسها أما لجميع العاملين والعاملات فى الشركة ، فلما عرفت ان أحد السائقين قد تزوج قريبة له فى أبو كبير سافرت مع عدد من زملائها وزميلاتها فى مينى باص استأجرته لهذا الغرض وقدمت له من الهدايا ما تبرع به العاملون كما اشركت الجميع فى رقصات وأغان حتى الفجر .

وأخيرا سافرت انجى مع زوجها وابنائها إلى أثينا ، وأغلب الظن انها نقلت جوها إلى هناك .



الفصل الثالث عشر

هل نحن نتقدم ؟

المشكلة الاقتصادية التى نحن فيها نشأت فى معظمها بسبب ارتفاع مستوى المعيشة بين العمال والفلاحين فجأة بعد ان طبقت الثورة قواعد العدالة الاجتماعية على المصريين جميعا ، فأصبح الفلاح يأكل اللبن والبيض والدجاج والفواكه التى ينتجها بعد ان كان يبيعها ويشترى بثمنها كسرة خبز تسد رمقه .

وقد استمتع الفلاحون والعمال بمياه الشرب والكهرباء وأجهزة التليفزيون والغسالات ، واختفى الحفاء بينهم أو كاد ، وأرسلوا أبناءهم الى المدارس بل والجامعات ليتعلموا بالمجان ، وإلى المستشفيات ليعالجوا بالمجان أيضا ، وهو فضل لعبد الناصر لا ينكره أحد ، ولكن زعيم الثورة فرض العدالة الاجتماعية ولم يحسب تكاليفها ، بل حارب اسرائيل واليمن وهو يعرف ان بلاده فقيرة لا تستطيع ان تمول هذه الحروب فتزايدت القروض الخارجية حتى وصلت فى عهد السادات إلى أربعين مليار دولار .

ان عبد الناصر كان يؤمن بمبادىء العدالة وحقوق الوطن والعرب ، ولكنه كان قليل الاكتراث بقدراته المالية والاقتصادية والادارية .

وقد نادى بأن التعليم حق لكل مواطن ، ولكنه عجز عن مكافحة الأمية وتوافد الطلاب على الجامعات لا ليتخرجوا فيها ، وإنما ليخرجوا منها بعد قضاء المدة الدراسية المقررة فى طريقهم إلى

الوظائف الحكومية ووظائف القطاع العام التى اصطنعت ليعيشوا فيها حياة . وأصبحت كليات الطب معاهد متوسطة تلقن تلاميذها معلومات طبية يحفظونها ولا يشاهدون حقائقها فى المشرحة اكتفاء بأنهم يمارسونها فى علاج المرضى بعد تخرجهم .

ثم عمل على ان يكون العلاج بالمجان حقا لجميع المصريين ، ولكن المستشفيات القائمة بقيت على حالها فلم تتطور لمواجهة هذا الطوفان .

هكذا وضعت الثورة كثيرا من المساحيق على وجوه الفلاحين والعمال ووزعت عليهم سمكا كثيرا بدل ان تعلمهم الصيد . بذلت جهدها فى زيادة قدراتهم على الاستهلاك ، ولم تبذل مثله فى انتاج ما يمول هذه الزيادة ، بل انها وفرت لهم من الحماية فى مواجهة الرؤساء وأصحاب العمل ما يقيهم المساءلة عند الأهمال .

لقد اعتبرت الثورة مستأجرى العقارات والأراضى الزراعيين هم الفقراء ، واعتبرت الملاك هم الاغنياء ، فبسطت حمايتها على الأولين ، وفرضت ضرائبها على الآخرين ، حتى تدهورت الثروات العقارية والزراعية جميعا ، وكان لهذا أثره فى هروب المتعلمين من الريف والمستثمرين من المشروعات الصناعية .

ولما انصرف المستثمرون عن بناء المساكن . . عجز الشباب عن العثور على شقق فانصرفوا عن الزواج إلى الاغتصاب . ولما خفت قبضة القانون على الفلاحين والعمال وغمرت بيوتهم أجهزة التليفزيون سهروا حتى منتصف الليل وناموا حتى الظهر وانصرفوا عن العمل إلى التطرف .

لقد كان صاحبنا وهو عضو منتدب لمؤسسة أخبار اليوم يستعين فى مكتبه بالاستاذ صليب بطرس ساويرس مستشارا ، وبالاستاذ موريس مراجعا داخليا وبالآنسة آمال وهبة سكرتيرة خاصة . وكان

على أمين يسعد بجو المكتب ويرى فيه إعلانا حيا عن إيمان المؤسسة بأن الدين لله والوطن للجميع . وعلق أحد الاصدقاء قائلا : ان أبو النجا وهو مسلم يفضل الاقباط واليهود فى العمل ، فرد كامل الشناوى متسائلا : وهل أسلم أبو النجا ؟

وقد قام أراك ببحث ميدانى عن قراء الكتب ظهر فى نتائجه أن قرية بالصعيد تقرأ كثيرا من الكتب الاسلامية وكان أغلب أهلها من الاقباط ، فظن صاحبنا ان الباحث أخطأ أو لم يزر القرية ولفق الارقام وهو فى مكتبه ، فأرسل مفتشا لمراجعة أعماله وإذا المفتش يعود بنتيجة أغرب : ان العائلات القبطية فى القرية تحتفل بمولد النبى ، والعائلات المسلمة تحتفل بمولد العذراء ، ووجد عددا كبيرا من المسلمين متزوجين من قبطيات .

وكان لصاحبنا زميل فى التدريس هو الاستاذ عيسى عبده ابراهيم توفى والده فظهر نعيه فى الصحف ومن بين أقربائه الشيخ محمد والاستاذ أحمد ومنهم الأب يوحنا والقس مرقص والقمص عبد الشهيد . وسأله صاحبنا فى ذلك فقال إن أباه كان طبيبا قبطيا فى الشرقية ثم أسلم وتزوج من أمه المسلمة فكان هذا المزج فى الانساب .

وصاحبنا يعرف ان دكتور لواء متزوج من استاذة قبطية وكذلك الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين : وكلاهما لم يطلب من زوجته ان تعتنق الاسلام اقتداء برسول الله الذى تزوج من مارية القبطية وتركها على دينها .

ان التطرف ابن الفراغ . وقد كثرت البطالة السافرة والمقنعة بعد الثورة فكان ما كان ، ولا فائدة الآن من البكاء على اللبن المسكوب فلنسأل أنفسنا هذا السؤال كيف ننهض اليوم ؟

ان زيادة الانتاج هى مفتاح كل شىء ولكن كيف ؟ ان العاملين

فى مصر دون المستوى ، فهل ننتظر حتى يرتفعوا إلى المستوى المطلوب ؟ معنى ذلك ان نترك الجائعين دون طعام والعرايا دون كساء والهائمين بين القبور دون مساكن .

والحل عندى ان نسرع الخطى للاستعانة بالميكنة فى الأعمال المتكررة لتحل محل الانسان . ان الكمبيوتر والربوت ينتجان دون فكر ولكن البرمجة كفيلة بتوجيههما إلى انتاج السلع النمطية فى أمانة واتقان . ولقد كانت سويسرا تعلن عن ساعاتها فتقول . . انها شغل يد Hand made فردت عليها اليابان فى إعلاناتها عن سايكو قائلة . . انها شغل آلة machine made وانتصرت الآلة على يد الانسان فى ضبط الوقت فانتصرت الساعات اليابانية على الساعات السويسرية .

ولكن الميكنة تحتاج إلى رءوس أموال غير متوافرة ، فكيف نوفرها ؟ هل نشجع الاستثمار الاجنبى حين لا يكفى الاستثمار المحلى ؟ وهل نعتمد فى ذلك على القطاع العام أم نتركه للقطاع الخاص ؟ ان القطاع العام أعجز من أن يتصدى لهذه المهمة الكبرى وهو لا يكاد يكفى نفسه .

ولابد لزيادة الرقعة الزراعية من غزو الصحراء ، ولذلك بدأت الدولة فى توزيع قطع صغيرة على الشباب . والحل فى رأيى يحتاج إلى شركات قادرة على تطبيق الميكنة الزراعية لتصلح الصحراء بالجملة لا بالتجزئة .

وحين تختار الشركات هل نقتصر على المصرية منها لحما ودما أم تفتح الباب للشركات العربية . أم نفتحه على مصراعيه لاستقبال الشركات الأجنبية ؟ ان الأمر قد يقتضى فحص كل حالة بخصوصها .

وإذا انتقلنا إلى الصناعة وجدنا شركات عملاقة كشركة الحديد والصلب وشركة النصر للسيارات ولدت مشوهة لأنها شركات سيادية أنشأتها القيادة ولم تولد بعد دراسة جدوى متأنية ، وإلى جانبها شركات سياحية وفندقية وخدمية كان من الأفضل ان تبقى للقطاع الخاص ولكنها انتزعت من أصحابها حين أريد للاشتراكية أن تسود .

ومن العبث أن ندعو الآن لتصفية القطاع العام ، فليس له مشترون ، ولكن المعقول ان نبقى فيه على الوحدات الانتاجية دون ان نزيد عليها ، ونبيع وحدات الاستيراد والتصدير والسياحة والفنادق ومحال السمك المشوى وسواها ليتولاها القطاع الخاص .

ولعل من الخير ان نقتصر فى العلاج المجانى على الوحدات القائمة ونترك القطاع الخاص ليتولى العلاج بالأجر ، وكذلك نقتصر فى التعليم بالمجان على ما هو موجود مع إفساح المجال للمستثمرين كى يفتحوا من المدارس ما يشاءون بشرط ان تكون البرامج متفقة مع ما تضعه الدولة من قواعد . ومع كل ما تقدم فلا فائدة ترجى إلا إذا تخففت الحكومة والقطاع العام من العمالة الزائدة . والسبيل لذلك ان تعلن الدولة عن استعدادها لمنح أجازات طويلة بنصف أجر لكل من لا يحسن القراءة والكتابة من الرجال ، وللسيدات اللاتى لهن أبناء يرغبن فى التفرغ لتربيتهم بشرط ألا يطبق ذلك على الفتيات .

وعلى كل حال فلا بد من انذار الاميين من الموظفين بأنه سيستغنى عن خدماتهم فى بحر مدة معينة إذا لم يعلموا أنفسهم القراءة والكتابة على ان يتدربوا بعد الخروج على حرفة من الحرف التى يختارونها تحت إشراف معهد من المعاهد الفنية . ومن ناحية اخرى لا بد ان نهيىء لهم الفرصة لازالة اميتهم باتباع الخطة التالية :

أولا : نقوم بحصر شامل بالاسم والعنوان للامیین فی کل محافظة .

ثانیا : نعلن عن حاجة الدولة لمن یرغب من أبناء کل محافظة تعلیم عدد من الامیین فی المنازل ودور العبادة .

ثالثا : کلما تقدم المعلم بأسماء أمیین تعلموا نمتحنهم شفویا وتحریریا ثم یصرف للمعلم مکافأة معلومة عن کل فرد ینجح .

ان هذا الاقتراح لیس خیالیا فقد سبق تطبیقه فی الکتاتیب ، وقد ضاقت المدارس الابتدائیة فلم تعد تتسع لاستقبال الکبار من الامیین . ولدینا من المتعلمین الفقراء والمحالین إلى المعاش من یرحبون بمورد جدید للدخل . ان الجهل حریق یجب إطفاؤه کما یقول طه حسین :

ثم تبقی غابة التشریعات الحاضرة . إن لدینا ألوفا من القوانین الرئیسیة والفرعیة قد لا یلم بها رجال القانون فضلا عن الأفراد العادیین . وقد تتابعت علیها التعدیلات حتى أصبح نسیجها مهلهلا واسع الخروق وصدرت أحکام قضت بها المحاکم تطبیقا لآخر تعدیل ، ثم ظهر ان هناك تعدیلا جدیدا .

والذی یقترحه صاحبنا ان تؤلف لجان من رجال الفقه لصیاغة المواد التجاریة والادارية من جدید وحذف المواد التی لا تزال تعتبر الدفاتر القانونیة هی الیومیة والجرد والکوبیا ولا تعترف بالکمبیوتر. وتشترط ان تکون الدفاتر مجلدة وصفحاتها مرقومة ومسلسلة مع ان الحسابات فی العالم المتقدم ترصد الیوم فی بطاقات ، وتوقف المعاش إذا لم یرسل صاحبه شهادة عن طریق البنك کل فترة معینة بأنه لا یزال على قید الحیاة مع أن البنك یعرف انه حی یرزق مادام یودع ویسحب ، والأموات لا یفعلون ذلك . ان القضاء على الروتین یستلزم القضاء على هذه النصوص البالیة .



الفصل الرابع عشر
من وحى الثمانين

شعر صاحبنا ـ بعد ان وصل إلى مشارف الثمانين ـ إنه لم يعد يؤمن بعبقرية القرار . وإنما يتأمل المشاكل ، ويبحث عن الحلول المتاحة ، ثم يختار من بينها الحل الأمثل وهو أكثرها مزايا وأقلها عيوبا ، وهو اتجاه بطىء يستبد به فى شيخوخته ولم يكن يطبقه فى شبابه . وقد أدرك هذا التغير فى حكمه على الاشياء حين سافر ابنه بالسيارة الى الغردقة وعاد منها فى اليوم التالى فلامه على ذلك لبعد المسافة ولكن ابنه قال « يا والدى لكى تحكم على صواب هذه الرحلة لابد ان تعود أربعين سنة الى الوراء » ففهم من الرد كل شىء !

وقد كان صاحبنا يكره التحزب فلم ينضم للوفد وهو مدير عام لجريدة المصرى ، ولم يتحمس للنادى الأهلى أو لنادى الزمالك حين كان فى المدرسة الخديوية أو التجارة العليا ، وإنما كان يحب اللعبة الحلوة من كل فريق . ولكن هذه الحيدة استبدت به فلاحظ أخيرا انه أصبح يؤثر الانصات على الارسال ويرى كل رأى صوابا يحتمل الخطأ أو خطأ يحتمل الصواب ، مع انه كان فى صباه يؤمن بقول الشيخ مصطفى القاياتى « لورشح سعد حجرا لانتخبته » .

وقد رجع صاحبنا للطبعات السابقة من « ذكريات عارية » فوجد أنه ختم الطبعة الأولى وقد جاوز الستين من عمره بكلمة قال فيها :

« لقد انفق صاحبنا صدر حياته قريبا من الأزهر والأزهريين فكان دائما يتمنى لوظهر من بين علمائهم مجتهد جديد ـ وباب الاجتهاد مفتوح ـ يعيد كتابة الدين فى حدود القرآن والحديث بما يوفق بين المذاهب الأربعة ويتمشى مع تطور العصر .

وقد سمع صاحبنا مع أعضاء كثيرين فى نادى الروتارى بهليوبوليس من الشيخ أحمد حسن الباقورى ان أبا حنيفة النعمان افتى بأن الخمر هو ما استخلص من عصير العنب وهو الذى يصدق فيه ان ما أسكر كثيره فقليله حرام . أماما أصطلح الناس على تسميته نبيذا كعمر الخيام فى مصر والعرق فى لبنان فهو حرام . إذا أسكر والويسكى فى الاصطلاح الشرعى نبيذ لأنه ليس مستخرجا من عصير العنب فشاربه إذا انتشى لا يرتكب محرما .

ولقد رجع صاحبنا فى هذا الى فضيلة الاستاذ الشيخ حسنين مخلوف فأفتى بما يخالف الشيخ الباقورى . وقد سمع صاحبنا ان تنظيم النسل حرام ، وسمع انه حلال ، سمع ان التأمين حرام وسمع انه حلال .

أما تعدد الزوجات وضربهن فقد افتى بعض رجال الدين بأنهما حقان لايجوز لمن يمارسهما أن يسىء استعمالهما ، فى حين اتجه آخرون إلى أنهما رخصتان مطلقتان .

واتجه بعض رجال الدين إلى أن الهدف من حجاب المرأة هو عدم إثارة الفتنة . فالفلاحة التى تكشف عن وجهها وساعديها ، وهى تعمل بالمحراث لا ترتكب محرما ، ولكن التى تهز جسمها فى الطريق العام بقصد الاثارة ترتكب محرما ولو كانت متدثرة .

ورأى صاحبنا المسلمين فى جاكارتا يغشون المساجد ويحرصون على أداء الصلاة والحج ولكنهم يحلون كثيرا مما نحرمه . فلما سألهم فى ذلك قالوا « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك

لمن يشاء »

وقال صاحبنا انه لايدعى لنفسه أهلية الافتاء فى هذه الموضوعات الخلافية وانما يدعو إلى مؤتمر اسلامى يقول كلمته فى كل منها .

ثم ختم صاحبنا الطبعة الرابعة بكلمة قال فيها :

ان مشكلتنا فى التنمية ليست التسويق وانما الانتاج . ومشكلتنا فى الانتاج ليست رأس المال وإنما الادارة . »

وقال : ان النسل فى تكاثر مستمر ولكن العناية قليلة بالتنشئة والجامعات المصرية فى تكاثر مستمر أيضا ولكنها لاتعدو أن تكون لافتات كبيرة على مبان خاوية .

وقال « إننا الان نستورد التكنولوجيا فى الصناعة ولكننا لا نعمل على توطينها ، وإذا تركنا الصناعة إلى الزراعة وجدنا انفسنا جادين فى تفتيت الأرض وتوزيعها على الناس بالعدل والقسطاس ، ولكننا لانحسب حساب التدهور الذى أصابها بسبب عدالة التوزيع .

ثم قال « إننا نقتل الوقت فى التخطيط ولا نفق مثله فى التنفيذ ، وصاحبنا لا يدرى كيف نخطط لمصر سنة ٢٠٠٠ ثم نغفل أول ما يستحق العناية وهو تنظيم الأرشيف والمخازن .

قال كل هذا مع غيره منذ نحو عشرين سنة ونادى بمثله فى الصحف ومجلس الانتاج ومجلس الخدمات وكان يرجو أن تتصدى الوزارات المتعاقبة لتنفيذ شىء منه ، ولكن الحزبية طغت على كل شىء . والانتخابات المتعاقبة ابتلعت كل جهد .

ذلك ودول الخليج تنهض من بداوتها فتقضى على الأمية أو تكاد ، وتستخدم الكمبيوتر فى كل مرافقها وتوفد البعثات العلمية والعملية إلى معاهد أوربا وأمريكا وتنشىء الجامعات والمستشفيات والمصانع ، وتستنبت الصحراء لترفع نفسها من دول متخلفة الى دول نامية .

وقد اعتنت الدول العربية فى شمال افريقيا ببيئتها لتؤهل نفسها لاستقبال السائحين ، إلا ليبيا فقد بقيت وحدها غارقة فى الحرب والارهاب حتى اصبحت من الدول الفقيرة رغم دخلها الكبير من البترول .

وبعد أن كانت الصحف المصرية تغطى العالم العربى كله أصبحت صحف الخليج بطبعاتها الدولية تغطى الدول العربية والأوربية والأمريكية .

لقد ترددت مصر فى سياستها الاقتصادية بين الملكية الخاصة قبل الثورة ، والملكية العامة مع انغلاق فى سنة ١٩٦٠ وسياسة الانفتاح بعد سنة ١٩٧٤ ثم عادت الى سياسة الانغلاق فى سنة ١٩٨٦ .

وترددت فى علاقاتها السياسية بين انجلترا قبل الثورة ، والاتحاد السوفيتى فى عهد جمال عبد الناصر ، والولايات المتحدة فى عهد السادات ، ثم انتهجت سياسة متوازنة فى عهد مبارك .

وكان نظام الحكم يتأرجح بين الملك والانجليز قبل الثورة ، ثم تمثل فى مجلس الثورة بعد سنة ١٩٥٢ ، وانتقل بعد ذلك إلى هيئة التحرير والاتحاد الاشتراكى فى عهد عبد الناصر وأنور السادات ثم أصبح حكما ديمقراطيا فى عهد مبارك .

وقد شغلت الدولة نفسها بعد الثورة بالتأميم ومصادرة الأموال ، ومطاردة الإخوان المسلمين ومحاربة الاقطاعيين ، والاستغناء عن المثقفين والفنيين من اليونانيين والايطاليين واليهود والمصريين ، حتى خلت مصر من قادتها وأصبحت وقفا على القاعدة من العمال والفلاحين .

وتلفتت مصر حولها فوجدت فراغا فى كل ناحية ، فحاولت ان تملأه بالمؤتمرات الاقتصادية والادارية ، وبالمجالس القومية

والمعاهد المتخصصة ، وزادت من عدد الوزارات ففرعت من وزارة المالية وزارات الاقتصاد والتخطيط والاستثمار والسياحة ، وزادت عدد البنوك الى مائة ، وأقامت من فوقها البنك المركزى فلم يغن ذلك عن الحق شيئا .

وتتابعت القوانين وتضاربت فوقفت جامدة لاتسهم فيما شرعت من أجله ، وقل اكتراث الجماهير بها فداروا حولها ، وسموا خلو الرجل « ديكور » وتهربوا من دفع الضرائب وفرضوا الرشاوى .

ان التنمية الانسانية تسبق التنمية الاقتصادية ، فلابد ان ننتشل الانسان المصرى مما هو فيه . لابد ان نزيل أميته ليتقبل ثقافة العصر ولو اقتضى ذلك اغلاق الجامعات سنتين أو ثلاثا ، ونغد له المسكن لكى لا يعيش فى عشش من صفيح أو يعيش بالمقابر . . ونظف قريته ونبعد الحيوانات عن مشاركته مسكنه لكى يشعر بآدميته .

وتأتى بعد ذلك الميكنة الالكترونية فقد مضى عهد الساقية والمحراث منذ انتهى عهد الفراعنة وحل الروبوت محل الانسان فى كل العمليات التى تكرر نفسها ، ومادامت الأرض الزراعية ضاقت بالسكان فلا مخرج من الضائقة إلا باستزراع الصحراء . ولنا فى ذلك أسوة بما فعلته اسرائيل والسعودية .

أما الصناعة فلابد من انتقاء ما يمكن توطينه منها وتصديره لمنافسة نظائره من البلاد الأخرى فى أسواق محددة ، وإلى ان نصل إلى هذا ليس أمامنا إلا أن ننشر الصناعات الصغيرة فى القرى . وما جرى فى كرداسة والحرانية يمكن ان يتكرر فى دمياط للموبيليات والأجبان ، وفى أخميم للحراير ، وفى أسيوط للمصنوعات العاجية ، وفى القرين لتعبئة البلح ، وفى الصعيد لتصنيع السجاجيد والكليم . وهكذا

إننى أحلم بشاطىء البحر الأحمر يمتلىء بالاوروبيين والامريكيين واليابانيين فى الشتاء ، وبشاطىء البحر الأبيض يمتلىء بالعرب والافريقيين فى الصيف . .

أحلم بسيناء وقد غطتها المراعى والفواكه والدواجن والحيوان ومصانع التعليب .

أحلم بمدينة ١٠ رمضان ، ومدينة ٦ أكتوبر ومدينة ١٥ مايو وقد أصبحت عواصم صناعية ، وبمدينة السادات وقد أصبحت العاصمة الادارية لمصر .

أحلم بالصحراء الغربية وقد كشفت عن كنوزها من البترول والمعادن فأصبحت مصدرا كبيرا للثروة .

ووسط هذا الخير أحلم بأن ينجح تنظيم النسل ، وتنمحى الأمية الهجائية والثقافية ويكون الدين لله لا للطائفية .

وليس ذلك على الله ببعيد .

ذكريات عارية
الجـــزء الثـــانى

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٨٨ / ٢١٢٥
مطابع الاخبار